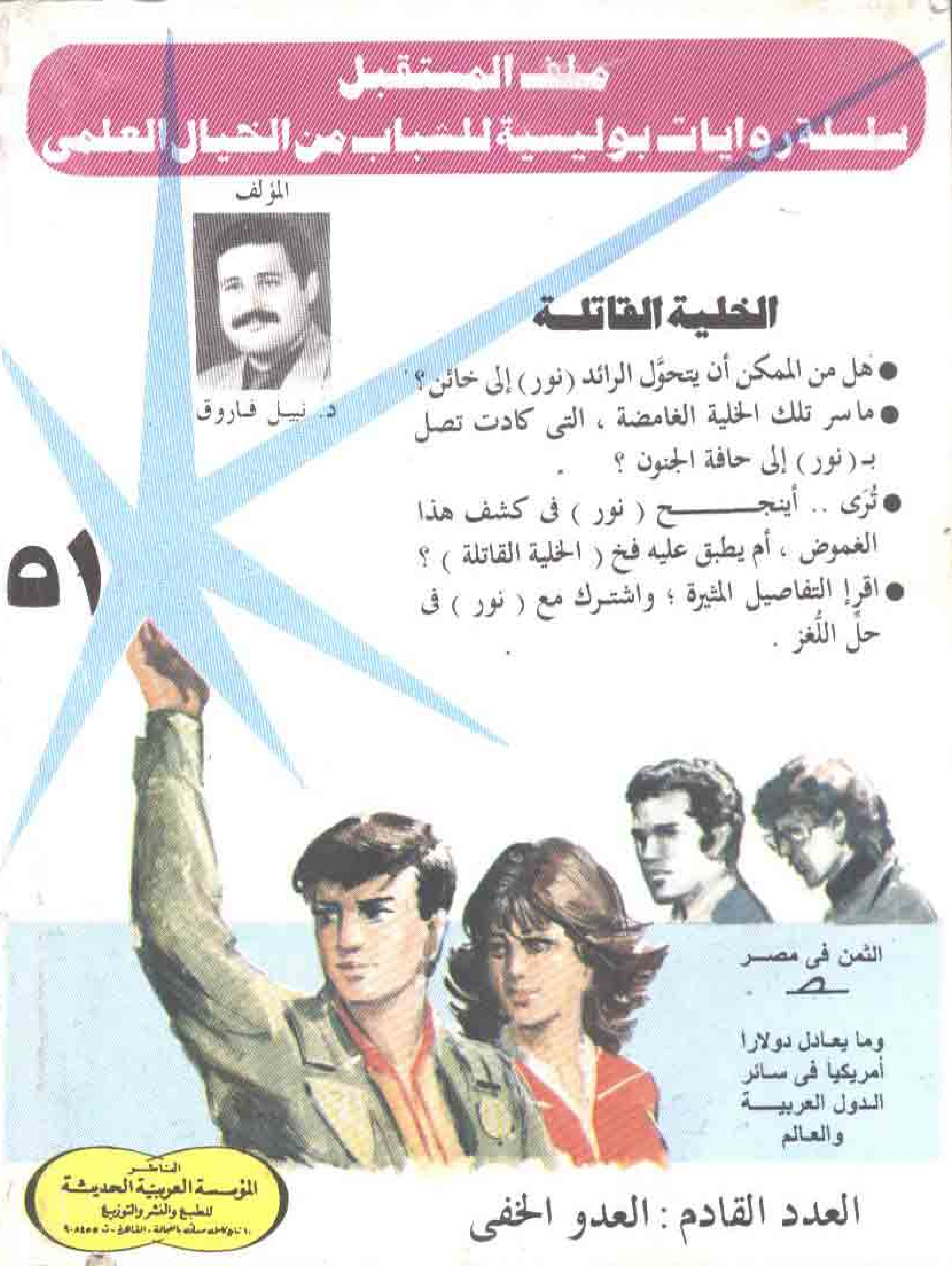


روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
٥١
نبيل فاروق
الخلية القاتلة
باسل
Www.dvd4arab.com



ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى
المؤلف
د. نبيل فاروق
الخلية القاتلة
● هل من الممكن أن يتحوَّل الرائد (نور) إلى خائن ؟
● ما سر تلك الخلية الغامضة ، التى كادت تصل بـ (نور) إلى حافة الجنون ؟
● تُرَى .. أينجح (نور) فى كشف هذا الغموض ، أم يطبق عليه فخ (الخلية القاتلة) ؟
● اقرإ التفاصيل المثيرة ؛ واشترك مع (نور) فى حلِّ اللُّغز .
٥١
الثمن فى مصر
ص
وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
العدد القادم : العدو الخفى



١ ــ الحــادث ..

زحف الضباب فى سرعة ؛ لينسدل على ذلك الطريق المعدّ للقيادة الصاروخية ، والذى يربط العاصمة (القاهرة) ، بمدن الوجه القبلى ، مخترقًا سلسلة جبال الصعيد ، التى تمتد من (أسيوط) إلى (أسوان) ، واشترك الضباب الكثيف مع الظلام الدامس ، فى ليلة غاب فيها القمر ، فى إضفاء جوّ من الرَّهبة والغموض على الطريق ، الذى بدا صامتًا مظلمًا ، ساكنًا ، قبل أن ينبعث من بعيد ضوء مصباحَىْ سيّارة صاروخية حديثة ، تشقّ طريقها من (الأقصر) إلى (القاهرة) ، فى سرعة تبلغ أربعمائة كيلومتر فى الساعة ، ورجَّعت سلاسل الجبال الممتدَّة على جانبى الطريق صَدى صوْتِ محرِّكها ، على الرغم من خفوته ، فى حين بدا قائدها الشابّ الوسيم هادئًا ، واثقًا ، على عكس زوجته ، التى ارتسم القلق على محيّاها الجميل ، وهى تقول :

ــ اخفض السرعة قليلاً يا (نور) ، لقد كان العرض المسرحىّ ، الذى شاهدناه فى معبد (الكرنك) رائعًا ، ولست أحب أن تنتهى الليلة بحادث سخيف .

ابتسم الرائد (نور الدين) ، وهو يقول لزوجته (سلوى) فى هدوء :

ــ اطمئنى يا عزيزتى .. لن يحدث ما يخيفك أو يقلقك .

هتفت فى حَنَق :

ــ سيدهشنى ألا يحدث ذلك ، فأنت تنطلق بسرعة مخيفة ، فى حين لا يتجاوز نطاق الرؤية مترًا واحدًا !

ضحك ، وهو يقول :

ــ يا له من مبرِّر !!.. إن هذا القول ينطبق على سيَّارات القرن العشرين يا عزيزتى ، ولكنه يبدو مضحكًا حينما يتعلَّق بسيَّارة كسيارتنا ، وهى أحدث ما أنتجته تكنولوچيا العام الثامن من القرن الحادى والعشرين .

قالت فى عصبية :

ــ لا تسخر من مخاوفى يا (نور) .. أعلم أن الطريق كله يحمل على جانبيه ، ومنتصفه تلك الخلايا الليزرية الصغيرة ، وأن كل السيَّارات الحديثة مزوَّدة بجهاز رادار خاص ، يمكنك بواسطته تجاهل الطريق ، والسير بأقصى سرعة ، دون أن ترتطم بحصاة صغيرة ، ولكننى ، وعلى الرغم من ذلك ، أشعر بالخوف ، فهلاَّ خفضت السرعة بعض الشىء .

خفض (نور) سرعة سيارته . حتى لم تعد تتجاوز الثلثمائة كيلومتر فى الساعة ، وهو يبتسم فى حنان ، قائلاً :

ــ كما تشائين يا عزيزتى ، ولكننى أراهنك أنه لو كان (رمزى) يصاحبنا الآن ، لقال إنك مصابة بالـ (أوتوفوبيا) (*) ، وإنك تحملين فى أعماقك بعض مخاوف القرن العشرين .

هزَّت كتفيها ، وهى تقول فى ضيق :

ــ ربَّما ، ولكن ذلك المزيج من السرعة والضباب والظلام يصيبنى بالخوف دائمًا .

شعر (نور) بتوتُّرها ، فقال ليعيد إليها هدوءها :

ــ هل تعلمين أن والدى ما زال يكره قيادة السيَّارات الصاروخية ، وأنه يؤكِّد أن تلك السيَّارات القديمة ، التى تستخدم (البنزين) ، هى أفضل وسائل الانتقال وأمتعها ؟

ابتسمت (سلوى) ، وهى تقول :

ــ يبدو أننى سأزداد إعجابًا بوالدك فى كل مرَّة يا (نور) .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ــ إنه رجل رائع بالفعل يا عزيزتى !! فعلى الرغم من أنه قد قضى شبابه كله فى القرن العشرين ، حينما كانت الأزمة الاقتصادية تطحن (مصر) ، وتعوقها عن اللحاق

(*) أوتوفوبيا = الخوف المرضى من قيادة السيَّارات .

بركب الحضارة ، إلَّا أنه نجح فى التكيف مع التطوُّر الحضارىّ السريع ، الذى اجتاح (مصر) فى منتصف التسعينات من القرن العشرين ، بعد تجاوزها الأزمة الاقتصادية .

خفَّ توتُّر (سلوى) بعض الشىء ، وهى تضحك قائلة :

ــ لقد تقبَّل كل منجزات حضارة القرن الحادى والعشرين ، فيما عدا السيارات الصاروخية .

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يهزَّ كتفيه ، مغمغمًا فى خفوت :

ــ ربَّما كان على حق يا عزيزتى ، فعلى الرغم من إنشاء الطرق الخاصَّة للقيادة الصاروخية ، وتغيير قوانين المرور ، بما يتفق مع سرعة القيادة الجديدة ، إلَّا أن معدَّل الحوادث قد ارتفع على نحو ملحوظ ، منذ استخدام السيَّارات الصاروخية .

غمغمت (سلوى) بدورها :

ــ ولكنها خفضت نسبة التلوُّث الجوى يا (نور) ، فالوقود الذرىّ لا يصدر تلك العوادم ، التى كانت تملأ سماء العالم منذ عشر سنوات و..

بتر عبارتها فجأة صوت (نور) ، وهو يهتف فى دهشة وجزع :

ــ يا إلهى !!

أدارت عينيها فى حركة حادَّة إلى الطريق ، واتسعت عيناها فى رعب ، حينما بدت لها ، وعلى بعد مترين على الأكثر من السيارة ، فتاة جميلة ، تقف فى وسط الطريق ، وترفع ذراعيها مشيرةً إلى السيَّارة ، والذعر يتجلَّى فى ملامحها ..

لم تستغرق رؤيتها لتلك الفتاة أكثر من جزء من الثانية ، فقد كانت السيَّارة تنطلق بسرعة مخيفة ، وكان من المستحيل أن يتفادى (نور) الارتطام بالفتاة ، إلاَّ أنه أدار عجلة قيادة سيَّارته الصاروخية فى سرعة إلى اليسار ، وخيِّل لـ (سلوى) أنه قد ارتطم بالفتاة ، إلَّا أنها لم تشعر بالارتطام ، ولم تغيِّر الفتاة من وقفتها أو إشارتها ، وكأنما لم تلمح السيارة ، أو تشعر بها ..

ومالت السيارة فى قوَّة ، مع ذلك الانحراف المفاجىء ، وصرخت (سلوى) فى رعب ، وحاول (نور) إنقاذ الموقف ، إلَّا أن السيَّارة خرجت عن الطريق فى سرعة ، ودارت حول نفسها فى قوَّة ، ثم ارتطم جانبها الأيسر بسفح سلسلة الجبال الأيسر ، فانقلبت ، ودارت حول نفسها ثلاث مرات على الأقل ، قبل أن تستقر على ظهرها ، وعجلاتها ما زالت تدور فى الهواء ..

وقاومت (سلوى) ذلك الدُّوار الذى ألمَّ بها ، وجاهدت لتحلّ حزام الأمان الذى يحيط بكتفها اليمنى ووسطها ، وهى تهتف فى ذُعْر :

ــ يا إلهى !!.. ماذا حدث يا (نور) ؟.. ماذا حدث لنا؟

أجابها صمت مُطْبق ، فأدارت عينيها إلى زوجها فى جزع ، وارتجف قلبها فى رُعْب ، وهى تتطلّع إلى وجهه الشاحب ، وتركّزت عيناها الملتاعتان على خيط من الدم يسيل على جبهته ، وتتساقط قطراته مكوِّنة بركة صغيرة من الدماء الساخنة ..

وصاحت (سلوى) ، وهى تربّت على وجه زوجها فى ذُعْر ولَوْعة :

ــ (نور) .. يا إلهى !!.. (نور) .

مرَّة أخرى أجابها الصمت والسُّكون ، وبدا لها جسد (نور) باردًا ، جامدًا ، كأنّه قد لَقِىَ حَتْفَه ، فاتّسعت عيناها فى رعب ، وردَّدت سلاسل الجبال صدى صرختها الممتلئة بكل الفزع والألم ، والجزع ، والمرارة ، واليأس ، واللَّوْعة !..

صرختها التى تحمل اسم زوجها ..

ثم ساد السُّكون ، وكأنما أظلَّ ملك الموت الطريق بجناحيه ..

* * *

٢ ــ الأب والابن ..

ارتفع صوت أقدام مسرعة .. تشق طريقها عبر أحد ممَّرات مستشفى (أسيوط) العام ، وبدا مزيج من القلق والجزع فى وجه صاحبها ، وهو يتجه نحو (سلوى) ، التى جلست تبكى فوق مقعد مجاور لحجرة العمليات الجراحيَّة بالمستشفى ، قبل أن ترفع وجهها إلى القادم ، وتهتف وعيناها دامعتان :

ــ عمَّاه !.. شكرًا لحضورك بهذه السرعة .. شكرًا لله .

كان القادم يحمل وجهًا شبيهًا بوجه (نور) إلى درجة كبيرة ، فيما عدا أنه أكبر عمرًا ، وقد وَخَط الشيب فَوْدَيْه ، وخصلة من الشعر فى منتصف رأسه ، أعلى جبهته ، ولقد جلس إلى جوار (سلوى) ، وضغط كفها براحته فى رفق ، وكأنما يبثّ فى جسدها بعض الطُّمَأنينة ، التى يفتقدها هو ، وهو يسألها :

ــ ماذا حدث يا بنيَّتى ؟.. كيف وقع الحادث ؟

أسندت جبهتها إلى راحتها ، وهى تقول فى ألم :

ــ لقد كان يحاول أن يتفادى فتاة مجهولة ، ظهرت فجأة أمام السيَّارة ، فى أثناء عودتنا من (الأقصر) ، فكان ما كان ..

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حَنق :
ــ وكان ينطلق بسرعة فائقة بالطبع .. يا إلهى !!.. كم أبغض هذه السيارات الصاروخية .
غمغمت ودموعها تسيل على خدَّيها :
ــ لقد كنا نناقش هذا بالذات ، حينما حدث ما حدث .
ربَّت الرجل ، الذى لم يكن سوى والد (نور) ، على كتفيها فى حنان ، وهو يقول فى حزن :
ــ وكيف هو ؟
هزَّت رأسها فى ألم ، وهى تقول :
ــ إنهم يجرون له عملية جراحية ميكروسكوبية عاجلة ، فلقد ارتطم رأسه بجانب السيارة ، ويشكّ الدكتور (منصور) فى إصابته بنزيف مُخّى .
تهدَّج صوت الأب ، وهو يغمغم :
ــ يا إلهى !!.. رُحْمَاك يا إلهى !!
ساد الصمت بينهما تمامًا ، بعد عبارته الصارعة الأخيرة ، إلَّا من نحيب (سلوى) المكتوم ، حتى غادر أحد الأطباء حجرة العمليّات ، فتعلَّقت عيونهما بوجهه ، وامتلأت نفساهما بالارتياح ، حينما ابتسم ، قائلاً :

ــ لقد نجا .
انخرطت (سلوى) فجأة فى بكاء حاد ، فى حين غمغم والد (نور) فى ارتياح :
ــ حمدًا لله !! حمدًا لله !!
ثم أسرع يسأل الطبيب فى لهْفَة :
ــ هل يمكننا رؤيته ؟
هزَّ الطبيب رأسه نفيًا ، وهو يقول :
ــ ليس بعدُ .. لقد قام الدكتور (منصور) بمعجزة ، فقد كان النزيف شديدًا ، وسيبقى الرائد (نور) فى حجرة العناية المركَّزة يومًا كاملاً ، قبل أن نسْمَح لكما بزيارته ، ولكن اطمئنَّا ، فقد أجرى الدكتور (منصور) جراحة رائعة ، أزال بها كل أسباب الخطر .
هتفت (سلوى) فى امتنان ، ووجهها مبلَّل بدموع الفرح :
ــ وأين هو الدكتور (منصور) ؟ .. إننى أدين له بجزيل الشكر ؛ فلقد أنقذ حياة زوجى مرَّتيْن .
تطلَّع إليها والد (نور) فى حَيْرَة ، فى حين أجاب الطبيب مبتسمًا :
ــ سيبقى مع مريضه بعض الوقت ، ويمكنكما مقابلته فى مكتبه بعد ساعة واحدة .

ثم استدرك ضاحكًا :

ـــ ما لم ينتزعه منكما حادث آخر .

شكرت (سلوى) الطبيب فى حرارة ، ولم يكد ينصرف ، وتنهَّد هى فى ارتياح ، حتى التفت إليها والد (نور) ، يسألها فى اهتمام :

ـــ ماذا تعنين بأن الدكتور (منصور) قد أنقذ حياة (نور) مرتين ؟

أجابته فى لهجة تحمل كل الامتنان والتقدير :

ـــ لولاه ما وصل (نور) إلى المستشفى فى الوقت المناسب يا عمَّاه ، فلقد كان الطريق خاليًا حينما وقع الحادث ، وكنت أنا على حافة الانهيار ، أو فى أعماقه بالفعل ، عاجزة عن حمل (نور) ، أو إخراجه من السيَّارة المقلوبة ، وبلغ منى اليأس مبلغه ، حينما ظهرت سيَّارة الدكتور (منصور) ، الذى أسرع إلينا ، وعاوننى على إخراج (نور) ، وحمله إلى سيارته ، وانطلق بأقصى سرعة إلى المستشفى ، ولولا ذلك لقضى (نور) نحبه ، قبل أن يتم إسعافه .

غمغم الأب فى لهجة شاردة :

ـــ يبدو أننا ندين له بالشكر مرتين بالفعل .

ثم سألها فجأة :

ـــ وماذا عن الفتاة ؟

سألته (سلوى) فى دهشة :

ـــ أية فتاة ؟

بدا الاهتمام الشديد على ملامحه ، وهو يقول :

ـــ تلك التى كانت سببًا فى وقوع الحادث .

أدهشها أنها لم تنتبه إلى الفتاة ، فى غمرة فزعها وجزعها على زوجها ، وغمغمت فى حَيْرَة :

ـــ لست أدرى !.. إننى لم أرها بعد ذلك .

بدا والد (نور) شبيها بابنه ، حينما يواجه لغزًا ما ، وهو يسألها :

ـــ ألم يلتق بها الدكتور (منصور) ؟

غمغمت فى دهشة :

ـــ إنه لم يشرْ إلى ذلك .

عقد والد (نور) حاجبيه ، وهو يفكِّر فى عمق ، وكادت (سلوى) تقسم فى تلك اللحظة أنها تتطلَّع إلى وجه زوجها ، قبل أن يغمغم الوالد فى هدوء :

ـــ حسنًا .. هيَّا بنا يابنيَّتى .. أريد أن أذهب إلى موقع الحادث .

سألته (سلوى) فى دهشة :

ــ لماذا ؟

وبنفس أسلوب (نور) الغامض ، أجاب الوالد :

ــ مجرَّد فكرة .. فكرة سخيفة ، لا أحتمل الانتظار للتأكُّد منها .

سألته فى حَيْرة :

ــ أية فكرة ؟

أجابها فى صرامة :

ــ فكرة أن ما حدث لم يكن مجرَّد حادث عادىّ ، وإنما هو جريمة .

وأرجفتها كلماته ، وهو يردف فى غضب :

ــ جريمة قتل ..

* * *

٣ ـــ مســرح الجريمــة ..

شعرت (سلوى) بالدهشة ، وهى تجلس إلى جوار والد (نور) ، فى سيارته الصاروخية ، وغمغمت فى حَيْرة :

ــ عجبًا !!.. كنت أظنك تكره قيادة السيَّارات الصاروخية يا عمَّاه !

ابتسم الوالد ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هذا لا يمنع من أن أمتلك واحدة يا بنيّتى ، فهى ضرورة من ضرورات العصر ، على الرغم من مَقْتِى لها ، وإلاَّ باتت نصف الطرق مغلقة فى وجهى ، فالقانون يحتِّم ألَّا تقل سرعة السيارة فى الطرق الخاصة للقيادة الصاروخية عن مائتين وخمسين كيلومترًا فى الساعة ، وسيارتى القديمة ، التى أكنّ لها حبًّا خاصًا ، لم تعد تستطيع الانطلاق بهذه السرعة ، فهى تمرّ الآن بطور الشيخوخة ، ولم يعد باستطاعتى العثور على قطع الغيار المناسبة لها ، وسط هذا الخضمّ من منجزات تكنولوجيا القرن الحادى والعشرين .

غمغمت (سلوى) ، وهى تستعيد ذكرى الحادث :

ــ للأسف !!



ووقف يتأمل المشهد لحظة ، معقود الحاجبين ، قبل أن يقول :
ــ إذن فقد مالت السيّارة ، وارتطمت بسفح الجبل .

ثم أشارت إلى نقطة قريبة ، وهى تهتف مستطردة :

ــ ها هى ذى سيارة (نور) يا عمَّاه .

خفض الوالد من سرعة سيَّارته ، وانحرف عن الطريق الرئيسىّ ؛ ليتوقَّف إلى جوار سيارة ابنه المقلوبة ، وهبط مع (سلوى) من سيارته ، ووقف يتأمَّل المشهد لحظة ، معقود الحاجبين ، قبل أن يقول :

ــ إذن فقد مالت السيَّارة ، وارتطمت بسفح الجبل ، ثم انقلبت مرتين ، قبل أن تستقرَّ على ظهرها .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

ــ هذا صحيح .. كيف عرفت ذلك يا عمَّاه ؟

ابتسم الوالد فى هدوء ، دون أن يجيب عن تساؤلها ، ثم أشار إلى الطريق ، قائلاً :

ــ من الواضح أن سيَّارة الدكتور (منصور) قد انحرفت عن الطريق الرئيسىّ ، من نفس النقطة التى انحرفت منها سيارتكما ، فكيف لم يلمح الفتاة ؟

عادت (سلوى) تكرِّر فى مزيد من الحَيْرة :

ــ كيف تعرف هذا يا عمَّاه ؟

ابتسم الوالد ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ إنه أمر بسيط يا بنيّتى ، فالرمال على جانبى الطريق تحمل آثارًا واضحة .

ثم سألها فجأة فى اهتمام :

ـــ أتجاوز (نور) تلك الفتاة المجهولة ، حينما انحرف بسيارته ، أم ارتطم بها ؟

أدهشها السؤال ، فعقدت حاجبيها ، قائلة :

ـــ لا رَيب أنه قد تجاوزها ، فلو ارتطم بها ، وهو ينطلق بهذه السرعة ، لقتلها بلا شك .

سألها الوالد فى شغف واضح :

ـــ وماذا فعلت هى ؟ .. هل صرخت ؟ أو انطلقت تجرى ؟.. أو شىء من هذا القبيل ؟.

اكتنفتها الحَيْرة ، وهى تغمغم :

ـــ لست أدرى .. لقد خيِّل إلىَّ أنها لم تبال .. أو حتى تلتفت ناحيتنا ، ولكننى لا أستطيع الجزم بذلك ، فالضباب والظلام كانا ..

قاطعها الوالد فى هدوء :

ـــ إذن فهى لم تتخذ أية ردود أفعال ؟!

هزّت (سلوى) رأسها ، وهى تقول :

ـــ لا يمكن الجزم بذلك .

مال نحوها الوالد ، وتطلّع إلى عينيها مباشرةً ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ إنها لم تفعل يا بنيّتى ، فالفتاة التى تخاطر باعتراض طريق سيّارة صاروخية ، فى طريق يمرّ عبر سلسلتى جبال ، ولا يوجد منزل واحد على جانبيه ، هى إما مجنونة ، أو تعانى رعبًا هائلًا ، وفى كلتا الحالتين لابد لها من أن تأتى رد فعل حاد وقوىّ ، كأن يتحوّل رعبها مثلاً إلى صرخة فزع ، أو انهيار عصبىّ ، حينما وقع لكما الحادث بسببها ، إلاّ أنها قد اختفت فى هدوء وبساطة ، كأنما قد أتت فعلاً عاديًا .

تطلّعت (سلوى) إلى عينيه فى حيرة ، وهى تسأله :

ـــ ما الذى تعنيه بالضبط يا عمّاه ؟

اعتدل الوالد ، وهو يقول فى لهجة غامضة ، بدت لها شديدة الشبه بلهجة (نور) :

ـــ لا شىء يا بنيتى .. لا شىء .

ثم تركها فجأة ، واتجه نحو الخلايا الليزرية الصغيرة ، التى تمتد فى منتصف الطريق ، وانحنى يفحصها واحدة بعد الأخرى

فى اهتمام ، فلحقت به (سلوى) ، وهى تتلفَّت حولها ، وتقول فى قلق :

ـــ من الخطر أن تفعل هذا يا عمَّاه ، فقد تفاجئك سيَّارة صاروخية و..

قاطعها فى هدوء :

ـــ فلنأمل ألَّا يحدث هذا يا بنيَّتى .

ثم توقف عند خليَّة ما ، من تلك الخلايا الليزرية الصغيرة ، وأولاها مزيدًا من العناية فى فحصه لها ، ثم لم يلبث أن أخرج من جيبه مدية صغيرة ، أخذ يستخدمها فى محاولة انتزاع الخلية ، فهتفت (سلوى) فى قلق :

ـــ عمَّاه !! .. إن القانون يعاقب على ذلك بالسجن شهرًا كاملاً ، و..

انتزع الوالد الخلية قبل أن تتم عبارتها ، ونهض وهو يبتسم فى هدوء ، قائلاً :

ـــ ليس بالنسبة لهذا النوع من الخلايا يا بنيَّتى .

تناولت (سلوى) الخلية الصغيرة من راحته فى دهشة ، ولم تكد تفحصها حتى وصلت دهشتها إلى حدّ الذهول ، وهى تهتف :

ـــ يا إلهى !!.. ولكنها ..

قاطعها الوالد فى حَزْم وَصَرَامة :

ـــ نعم يا بنيَّتى ، إنها خلية ليزريَّة خاصَّة ، لبث الصور (الهولوجرافية) المجسَّمة ، ذات الثلاثة الأبعاد ، والتى تبدو كأنها شخص حىّ ، أو فتاة تعترض الطريق .

هتفت فى ذهول :

ـــ ولكن لماذا ؟

عقد الوالد حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

ـــ كما كنت أقول يا بنيَّتى .. إنها محاولة قتل .

★ ★ ★

« محاولة قتل ؟! » .

هتف الدكتور (منصور) بهذه العبارة على نحو عجيب ، وكأنه يخرج كلماتها فى استنكار وتبرُّم ، قبل أن يستطرد فى مزيج من السُّخط والضَّجَر :

ـــ لماذا يجد البعض متعته فى تعقيد الأمور ، وتدثيرها بثوب يخالف حقيقتها ؟!.. إننى أرى ما حدث مجرَّد حادث سيَّارة عادىّ ، لماذا تحاولون إضفاء صفة الخطورة عليه ؟

أجابه والد (نور) فى هدوء :

ــ لو أن ابنى مجرّد شابّ عادىّ لاختلفت الأمور و ...
قاطعه الدكتور (منصور) فى حَنَق :
ــ مفهوم ... كل الأبناء هم أشخاص غير عاديِّين فى نظر الآباء .. أعلم ذلك .. لقد تحدَّثت الأمثال الشعبية القديمة عن هذا المعنى تقريبًا .
ابتسم والد (نور) ، وهو يتذكَّر ذلك المثل الشعبىّ القديم ، وأخذ يتأمَّل الدكتور (منصور) فى اهتمام وعناية ..
كان الدكتور (منصور) فى منتصف الخمسينات من عمره ، حليق الوجه ، أشيب الشعر تمامًا ، يرتدى منظارًا طبيًّا أنيقًا ، وإن بدت حلته مهملة ، على الرغم من جودة صنعها ، وارتفاع ثمنها ، وكان فى هذه اللحظة يعقد حاجبيه فى تبرّم ، إلَّا أنه لم يلبث أن رفعهما فى دهشة ، حينما أجابه والد (نور) :
ــ معذرة يا دكتور (منصور) ، ولكن وضع ابنى يختلف عن هذا المثل الشعبىّ القديم ، فهو ضابط من ضباط المخابرات العلمية ، وله الكثير من الأعداء .
تطلَّع الدكتور (منصور) إلى وجه الأب فى دهشة ، بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن عاد يعقد حاجبيه ، وهو يقول فى لهجة تحمل الكثير من الاهتمام :

ــ فى هذه الحالة يختلف الأمر فعلًا .
ناوله والد (نور) الخليَّة الليزرية الصغيرة ، وهو يقول :
ــ بالطبع .. خاصةً لو كان الأمر يتعلَّق بهذه الخلية .
انتفض جسد الدكتور (منصور) بغتة ، وسرى فى ملامحه ذعر مفاجئ ، غير مفهوم ، وهو يهتف :
ــ الخلية ؟! .. أية خليه ؟
أجابه الوالد ، وهو يتطلَّع إلى ملامحه الفزعة فى حَيْرة :
ــ إنها خلية بثّ ليزريّة ، تُبثُّ صورة هولوجرافية لفتاة تستوقف السيَّارات فى ذُعْر .
زفر الدكتور (منصور) فى ارتياح ، وتلاشى ذلك الذُّعر الذى يملأ ملامحه ، وهو يغمغم :
ــ آه .. خلية ليزريَّة .. هذا طريف .
هتف والد (نور) فى دهشة :
ــ أى طريف فى هذا ؟
عقد الدكتور (منصور) حاجبيه ، وبدا وكأنه سيصرخ بعبارة أخرى ساخطة ، لولا أن انفتح باب مكتبه فى هذه اللحظة بالذات ، واندفع إلى الداخل شابّ وسيم ، بنىّ الشعر والشارب ، هتف فى لهجة من يحمل مفاجأة سارَّة :

ــ دكتور (منصور) .. هل رأيت ما هو أروع من ذلك ؟

كان يحمل صندوقًا من الزجاج الشفَّاف ، يقسمه قسمين متساويين ــ من الداخل ــ حاجز زجاجى داكن ، وفى كل قسم منهما جرو أبيض صغير ، مبرقش ببقع سوداء متناثرة ، وكان الجروان يبدوان متطابقين إلى حد مدهش ، مما أثار انتباه والد (نور) ، فسأل فى دهشة :

ــ عجبًا !!.. أهما توءمان ؟

حَدَجَه الدكتور (منصور) بنظرة ناريَّة صارمة ، لم يلبث أن نقلها إلى الشابّ ، الذى شحُبَ وجهه ، وارتبك وهو يغمغم :

ــ كنت أظنّك تتلهَّف لرؤيتها يا سيِّدى ، و ...

وبتر الشابّ عبارته ، وبدا وكأنه يرتجف أمام نظرات الدكتور (منصور) ، الذى قال فى صوت بارد ، شديد الصرامة :

ــ عُدْ إلى المعمل يا (حازم) ، وابْقَ مع (هشام) هناك ، وسأحضر لرؤيتهما فيما بعد .

بدا الذعر على وجه (حازم) ، وتلعثم فى شدّة ، وهو يتراجع حاملًا الصُّندوق ، ومغمغمًا فى ارتباك :

ــ كما تأمر يا سيِّدى .. معذرةً يا سيِّدى .

وأسرع يغادر الحجرة ، كأنّ وحشًا ضاريًا يطارده ، وأغلق الباب خلفه فى قوّة ، ثم ساد الصمت تمامًا داخل الحجرة ، وشابَهُ توتُّر ثقيل ، قبل أن يرغم والد (نور) نفسه على الابتسام ، وهو يقول :

ــ أهى تجربة علميّة جديدة ؟

هتف الدكتور (منصور) فجأة فى حِدَّة غاضبة :

ــ ليس هذا من شأنك .

اتسعت عينا والد (نور) ، فى مزيج من الدهشة والحرج ، وهو يغمغم :

ــ إنه مجرَّد سؤال تقليدى .

عقد الدكتور (منصور) حاجبيه فى شدَّة ، حتى بدا فى أشد حالات الغضب ، وهو ينهض من خلف مكتبه فى حركة حادَّة ، قائلًا فى صرامة :

ــ اسمع أيُّها السيِّد .. لقد تعرَّض ابنك لحادث طريق ، أو لمحاولة قتل .. استخدم اللفظ الذى يروق لك ، هذا لا يعنينى .. لقد بذلت أقصى ما يمكننى من جهد لإنقاذه ،

بدا الذعر على وجه (حازم) ، وتلعثم فى شدّة ،
وهو يتراجع حاملًا الصُّندوق .

وأعتقد أننى قد نجحت ، وإذا أردت أن تعبّر عن شكرك وامتنانك لى ، فاعلم أننى أكره إجابة أية أسئلة لا تروق لى ، وأبغض التدخّل فى شئونى .. هل يبدو لك ذلك مفهومًا ؟

كان أسلوبه فظًّا فِجًّا ، مِمَّا أثَارَ ضِيقَ والد (نور) ، فنهض وهو يقول فى بُرود يشوبه بعض الحَنَق :

ــ نعم يا دكتور (منصور) .. إنه يبدو مفهومًا تمامًا .

ثم اندفع إلى خارج الحجرة ، وأغلق بابها خلفه فى قوّة ، ولم ينس أن يهتف ، قبل عودته إلى حيث تنتظره (سلوى) :

ــ فلتذهب أنت وتجاربك اللعينة إلى الجحيم .. لقد نجا ابنى ، وهذا هو المُهِمّ .

* * *



٤ ــ الخائن ..

لم يعلم (نور) بتفاصيل ما حدث ، إلا بعد أسبوعين كاملين ، حينما شفيت جراحه تمامًا ، واستعاد صحته ، وصار مستعدًّا للعودة إلى عمله .. ولقد أدهشه وأقلقه ما أخبره به والده ، وما قصَّته عليه زوجته (سلوى) ، فهتف فى حَيْرة :

ــ محاولة قتل ؟!.. ولكن من فعل ذلك ؟ .. ولماذا ؟ .

قلَّب والده كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول فى أسف :

ــ لم يسفر التحقيق عن أى شىء يا (نور) ، سوى تأكيد أنها محاول قتل ، فخلية البثِّ الهولوجرافى الليزرية يمكن شراؤها من أى متجر متخصِّص ، ولقد تم وضعها فى مكان خلية المرور الليزرية دون شهود ، أو أدلَّة ، ولا يوجد خيط واحد يمكن تتبّعه للوصول إلى الحقيقة .

عقد (نور) حاجبيه ، وصمت بعض الوقت ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ بل يوجد طرف خيط يمكن تعقّبه يا أبى .

وقبل أن يسأله والده ، أو تسأله (سلوى) عمّا يعنيه ، استطرد فى اهتمام :

ــ لقد كان الحادث الذى تعرَّضنا له : (سلوى) وأنا ــ هو الحادث الوحيد على ذلك الطريق ، فى تلك الليلة ، وهذا يعنى أن الشخص الذى وضع الخطة كان يقصدنا بالذات ، وكان يعلم أننا سنعبر ذلك الطريق ، فى تلك الليلة بالذات ، وهذا يعود بى إلى الدعوتين اللتين تلقيناهما ؛ لحضور ذلك العرض المسرحى فى معبد (الكرنك) ، واللذين ظنناهما مرسلين من المشرفين على المسرحية ، ولكننى أعتقد ، بل أكاد أجزم الآن ، بأنهما قد أرسلتا من قِبل القاتل شخصيًّا .

اتسعت عينا (سلوى) فى خليط من الدهشة والذعر ، فى حين هتف والد (نور) فى انفعال :

ــ إذن فقد أرسل إليكما الدعوتين ، ليتصيَّدكما فى رحلة العودة !

ثم استطرد فى حَنَق :

ــ ولكن كيف يمكننا التوصّل إليه ؟

أجابه (نور) فى اهتمام وجدِّيَّة :

ــ علينا أن نحاول يا والدى ، فلو أننا تقاعسنا عن البحث

عن ذلك القاتل ، فسيعنى هذا أن نمنحه الفرصة لمعاودة الكرَّة .

ثم التقط سترته الجلديَّة ، وأسرع نحو باب منزله ، فهتفت به (سلوى) :

ــ إلى أين يا (نور) ؟

التفت إليها ، وابتسم وهو يقول فى هدوء :

ــ سأحاول التقاط طرف الخيط يا عزيزتى .

ثم أدار عينيه إلى والده ، مستطردًا فى بساطة :

ــ انتظر عودتى يا أبى .. لن تطول غيبتى ..

وقبل أن يلفظ أحدهما بحرف واحد ، اندفع خارجًا ، وأغلق الباب خلفه فى قوة .

* * *

تقدَّم وجه مألوف من البوَّابة الرئيسية لمبنى المخابرات العلمية المصرية ، وابتسم وهو يقول لرجل الأمن فى هدوء :

ــ كيف حالك يا (عادل) ؟

نهض رجل الأمن ، وهو يقول فى احترام :

ــ فى خير يا سيِّدى الرائد .. شكرًا لك .

ثم تسلَّلت حمرة الخجل إلى وجهه الهادئ ، وهو يستطرد :

ــ إنك لن تمانع فى مواجهة وسائل الأمن يا سيِّدى الرائد .. أليس كذلك ؟

ابتسم الرائد ، وهو يقول :

ــ بالطبع يا (عادل) .. القانون هو القانون ، ولا بد من اتخاذ كل وسائل الحذر ، فكل رجل فى مخابرات العدوّ يحلم بالتسلّل إلى قيادة مخابراتنا العلمية .

ارتسم الارتياح على وجه رجل الأمن ، وهو يشير بيده إلى جهاز صغير ، قائلاً :

ــ شكرًا يا سيِّدى الرائد .. هلَّا تبعتنى !

تبعه الرائد الشاب فى هدوء إلى جهاز الفحص الأمنى ، وألصق كفه بشاشة صغيرة فى مقدِّمة الجهاز ، ولم تمض لحظات حتى أضاءت الشاشة بلون وردىّ باهت ، لم يلبث أن تحوَّل إلى الأزرق الهادئ ، ثم انطلق من الجهاز خيط من أشعة بنفسجية ، استقرّ لحظة على عينى الرائد ، ثم أعقبه أزيز هادئ ، ظهرت بعده صورة واضحة للرائد الشاب ، فوق شاشة أخرى للجهاز ، اقترن ظهورها باختفاء كل الأضواء والأشعة ، فابتسم رجل الأمن ، وهو يقول :

ــ يمكنك الدخول يا سيادة الرائد .. شكرًا لتعاونك .

ابتسم الرائد فى هدوء ، وأسرع يدلف إلى مبنى المخابرات ، وعبر ممرَّاته فى خطوات واسعة ، وهو يلقى تحية باسمة على كل من يقابله ، حتى وصل إلى حجرة خاصة ، علّقت فوقها لافتة مضيئة ، تقول كلماتها فى وضوح : « غير مسموح بالدخول لغير فريق الأمن الخاص » ..

وفى هدوء ، ألصق الرائد الشاب كفه بشاشة صغيرة ، تشبه تلك الموجودة فى حجرة الأمن فى الخارج ، وتكرَّرت نفس إجراءات الفحص الخارجية فى تتابع سريع ، ثم ظهرت صورة الرائد الشاب على شاشة مجاورة ، وانفتح باب الحجرة فى هدوء ، ليدخلها الرائد الشاب ، قبل أن ينغلق بابها خلفه فى إحكام ..

وتوقَّف الرائد الشاب يتأمَّل تلك الأسطوانات المسطَّحة الصغيرة ، التى تملأ أرفف المكان ، قبل أن ينقل بصره إلى جهاز الكمبيوتر الصغير فى الركن ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يغمغم :

ــ هأنذا أخيرًا فى حجرة الملفَّات السِّرِّيَّة الخاصة ، فى المخابرات العملية المصرية ..

والتقط مجموعة من الأسطوانات الكمبيوترية المسطَّحة الصغيرة ، قبل أن يردف فى ارتياح :

ــ يا لها من غنيمة !!

* * *

مضت ساعة كاملة ، قبل أن يغادر الرائد الشاب مبنى المخابرات العلمية ، وابتسم رجل الأمن وهو ينهض لتوديعه ، قائلاً :

ــ هل كانت زيارتك ناجحة هذه المرة يا سيادة الرائد ؟

ابتسم الرائد الشاب ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ كما لم يحدث من قبل يا عزيزى (عادل) .

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى (عادل) ، وهو يقول :

ــ هذا يسعدنى يا سيِّدى الرائد .. فالجميع هنا ..

بتر (عادل) عبارته فجأة ، وهو يحدِّق فى جسم يبرز طرفه من جيب سترة الرائد الشاب ، واختلج صوته وهو يقول فى ذعر ودهشة :

— سيدى الرائد .. أنت تعلم أنه من الممنوع تمامًا الخروج بواحدة من أسطوانات الكمبيوتر من هنا و ..

قاطعه الرائد الشاب فى خشونة ، لم يعهدها فيه رجل الأمن من قبل :

— لا تتدخل فيما لا يعنيك يا رجل .. عد إلى موقعك .

اتسعت عينا رجل الأمن ، وهو يهتف :

— ولكن يا سيادة الرائد إن هذا ..

بتر رجل الأمن عبارته فجأة ، وتراجع فى ذهول ، حينما انتزع الرائد الشاب مسدَّسه الليزرىّ فى حركة حادَّة مباغتة ، وصوَّبه إليه ، وهو يهتف فى شراسة :

— قلت لك : عد إلى موقعك وإلاَّ ..

كان الموقف مذهلاً مثيرًا ، نظرًا لتاريخ الرائد الشاب ، وذلك الوضع الخاص ، الذى يتميَّز به فى أروقة الإدارة ، إلَّا أن التدريبات المكثَّفة ، التى تلقَّاها رجل الأمن ، قبل أن يتبوَّأ منصبه هذا ، جعله ينفض ذهوله فى سرعة تثير الإعجاب ، ويغوص بجسده إلى أسفل ، وهو ينتزع مسدَّسه الليزرىّ ، ويطلق أشعته نحو الرائد الشاب ، الذى تفادى الطلقة بمرونة مذهلة ، اكتسبها بدوره من تدريبات ضبَّاط المخابرات العلمية

الخاصة ، ثم أطلق أشعة مسدَّسه الليزرية نحو رجل الأمن ، الذى أطلق صرخة ألم مكتومة ، حينما مرق خيط الأشعة القاتلة من كتفه ، وأسال دمه ، فى حين انطلق الرائد الشاب نحو سيارة صاروخية تنتظره ، وقفز إليها ، فانطلقت به مبتعدة فى سرعة ، ورجل الأمن يتابعها فى ذهول ، ثم لم يلبث أن نفض ذهوله فى سرعة مرة أخرى ، والتقط من جيب سترته أسطوانة دائرية صغيرة ، هتف عبرها فى مزيج من الألم والذهول والمرارة :

— إنذار إلى جميع نقاط الأمن .. يوجد ضابط خائن بين الصفوف .. لقد سرق بعض أسطوانات الكمبيوتر السِّرية .. أكرِّر .. هناك خائن بين الصفوف .

* * *

عاد (نور) إلى منزله بعد ساعة واحدة ، واستقبله والده وزوجته فى اهتمام ، وسألته الأخيرة فى لهفة :

— هل وجدت شيئًا ؟

هزَّ رأسه نفيًا فى ضيق ، وهو يقول :

— بالعكس .. لقد هدمت نظريتى عند أوَّل محاولة بحث .

سأله والده فى دهشة :

— ماذا تعنى ؟

أجابه فى خَنَق واضح :

ـ لقد كانت الدعوتان مرسلتين من مشرفى المسرحية بالفعل ، أو من بطلها على وجه الدقة ، فهو ممثّل قدير ، سبق أن التقينا به فى مغامرة سابقة .

سألته (سلوى) فى دهشة :

ـ هل أرسلها (ممدوح خالد)(*) ؟.. لماذا لم يخبرنا بذلك إذن ؟

لوَّح (نور) بذراعه ، وهو يقول فى ضيق :

ـ يقول إنه أراد مفاجأتنا ، ولكننا انصرفنا فور انتهاء العرض ، فلم يمكنه مقابلتنا .

عقد والد (نور) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حَيْرَة :

ـ عجبًا !!

كان ينوى أن يسأل (نور) بضعة أسئلة تثير حَيْرته ، لولا أن قالت (سلوى) فى قلق ، وهى تشير عبر النافذة إلى الخارج :

ـ يبدو أن لدينا زائرين يا (نور) .

(*) راجع قصة (الفخ الزجاجى) .. المغامرة رقم (٢٧) .

تطلّع (نور) عبر النافذة إلى السيّارة التى توقّفت أمام منزله ، وإلى الرجلين اللذين غادراها ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـ إنهما الرائد (فهمى) ، والرائد (سامى) .. من زملاء الإدارة .

أشارت (سلوى) إلى عدد من ضباط الشرطة المسلحين ، انتشروا فى حديقة المنزل ، وقالت فى قلق :

ـ وهل اعتاد (فهمى) و (سامى) الخروج دائمًا فى حراسة مسلّحة ؟

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ـ ربّما كانا فى طريقهما لعملية جديدة يا عزيزتى .

وأسرع يستقبل صديقيه ، هاتفًا فى مرح :

ـ كيف حالكما يا رفيقى الكفاح ؟

أدهشه برود صديقيه فى رد تحيته ، وتلك الدهشة التى بدت فى عيونهما ، و (فهمى) يقول :

ـ عجبًا !!.. لم أكن أتوقّع أن أجدك فى منزلك .

ابتسم (نور) ابتسامة قلقة ، وهو يقول :

ـ لقد عدت توًّا من الخارج ، لحسن حظكما .

تأمّله الاثنان بنظرات باردة لم ترق له ، فعقد حاجبيه ، وهو يسألهما :

ـــ ماذا هناك ؟

تنهَّد (سامى) فى ضيق ، فى حين قال (فهمى) فى برود :

ـــ لقد سُرقت بعض الأسطوانات السِّرِّيَة من الإدارة .. أنت أول من يعلم بالطبع .. أليس كذلك ؟

هتف (نور) فى دهشة :

ـــ يا إلهى !! إنه أمر بالغ الخطورة .. لماذا لم يبلغنى القائد الأعلى بوسائلنا الخاصة بدلاً من ..

قاطعه (سامى) فى حِدَّة :

ـــ كفى يا (نور) .. أنت تعلم أن وجود خائن فى صفوف الإدارة هو أسوأ ما يمكن أن يحدث لنا .

ارتفع حاجبا (نور) فى ذهول ، وهو يهتف :

ـــ خائن ؟!.. فى صفوف الإدارة ؟!.. يا إلهى !!.. هل علمتم من هو ؟

حَدجَهُ الاثنان بنظرة قاسية ، قبل أن يقول (فهمى) فى صرامة :

ـــ إلى متى تأمل أن تدوم محاولة الخداع السخيفة هذه يا (نور) ؟

سأله (نور) فى دهشة :

ـــ ماذا تعنى يا (فهمى) ؟.. وماذا يعنى أسلوب حديثك هذا ؟

أجابه (سامى) فى حَنَق :

ـــ كفى يا (نور) .. الأمر لم يعد سِرًّا .. أنت ونحن نعلم أن الخائن ليس سوى ......

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى غضب وصرامة :

ـــ أنت أيها الرائد (نور) .

* * *



٥ ــ الحصار القاتل ..

مضت دقيقة كاملة ، و (نور) يحدِّق فى وجهى زميليه فى ذهول ، وانتقل ذهوله إلى والده وزوجته ، اللذين احتبست الكلمات فى حلقيهما ، فلاذا بصمت رهيب ، قبل أن يهتف (نور) فى مزيج من الغضب والاستنكار :

ــ أى هراء هذا ؟.. هل أصابكما الجنون ، حتى تتهمانى بأبشع تهمة فى نفس أى مواطن شريف ؟

أطرق الرائد (فهمى) برأسه ، وهو يقول فى حزن :

ــ لم أكن أحبّ أن أقف هذا الموقف السخيف يا (نور) ، ولكن لا جدوى من محاولتك الإنكار ، فلقد سجّلت أجهزة الفحص الأمنى قدومك إلى الإدارة ، منذ ما يقرب من الساعة ونصف الساعة ، ودخولك إلى غرفة حفظ الوثائق السرّيّة ، ولقد تعرّفك رجل الأمن ، ولست أدرى كيف يقدم ضابط ممتاز مثلك ، يشهد له الجميع بالكفاءة والتفوّق على مثل ...

قاطعه (نور) فى حِدّة :

ــ يا للسخف !!.. إننى لم أطأ أروقة الإدارة منذ أسبوعين كاملين .

تبادل (فهمى) و (سامى) نظرة حزينة ، قبل أن يسأله (سامى) فى صرامة :

ــ أين كنت منذ ساعة ونصف يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى حِدّة :

ــ فى مكتب البريد الآلى ..

سأله (فهمى) :

ــ هل يمكنك أن تثبت ذلك ؟

لوّح (نور) بذراعه ، وهو يقول فى عصبية :

ــ لا بالطبع .. أنت تعلم أن مكاتب البريد تدار بآلية كاملة ، فى عصرنا هذا ، ولا يمكننى أن أطلب شهادة آلة ، ولكن يمكنك أن تسأل والدى وزوجتى .

شحب وجه (سلوى) ، وأطلّ الحزن من عينى الوالد ، حينما التفت إليه الرائد (فهمى) ، يسأله فى صرامة :

ــ هل تؤكّد هذا القول يا سيّدى ؟

ساد الصمت لحظة ، وارتسم ذلك الصراع الذى يدور فى أعماق الأب على وجهه ، قبل أن يقول فى صوت خافت :

ـ ابنى لا يكذب أبدًا أيها الرائد .

هتف به (سامى) فى حِدَّة :

ـ يمكنك أن تحتفظ برأيك الخاص فى ابنك يا سيِّدى ، فكل ما نطلبه هو إجابة محدودة .. أيمكنك أن تؤكِّد ذهاب ابنك إلى مكتب البريد ، أم لا ؟

نقل الوالد بصره فى حَيْرة ، بين ابنه ، و (سلوى) التى ازداد شحوبها ، ثم أطرق برأسه وهو يقول فى ألم :

ـ لا ..

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، فى حين هتفت (سلوى) فى استنكار وشحوب :

ـ عمَّاه !!.. كيف أمكنك أن ... ؟

قاطعها (نور) فى انفعال :

ـ أبى على حق يا (سلوى) .

تطلَّعت إليه فى ذهول ، بعينين ترقرقت فيهما الدموع ، فاستطرد فى صرامة :

ـ إن أبى رجل شريف يا (سلوى) ، لا يمكنه أن يخون ضميره ومبادئه من أجل أى مخلوق فى العالم .. حتى ولده .. وهذا ما جعلنى أحبه وأحترمه دائمًا .. لقد رآنى مثلك أغادر

المنزل ، وأعود إليه ، ولكنه لا يستطيع أن يؤكِّد أننى قد ذهبت إلى مكتب البريد .. لقد كانت إجابته واضحة وصريحة وشريفة .

ثم التفت إلى (فهمى) و (سامى) ، مردفًا فى غضب :

ـ لقد أحكم أصحاب هذه الخدعة المحكمة الحصار ، وأمكنهم استغلال الـ ..

قاطعه (فهمى) فى صرامة :

ـ معذرة يا (نور) ، ولكن قولك هذا يجافى الحقيقة كثيرًا ، فأنت تعلم مثلى أن أجهزة الفحص الأمنى فى الإدارة لا تخطئ أبدًا ، لقد قامت هذه الأجهزة بفحص بصماتك ، وتوزيع المسام العرقية فى كفك ، وبصمات قزحية عينيك ، وكلها أشياء يستحيل تكرارها أو تشابهها ، حتى فى التوائم المتجانسة(*) .

اتسعت عينا (نور) فى دهشة وجزع ، وهو يهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل !!.. لا ريب أنه هناك خدعة ما و ..

(*) حقيقة علمية .

قاطعه (فهمى) فى برود ، وهو يصوِّب إليه مسدَّسه الليزرىّ :

ــ إننا نلقى القبض عليك بتهمة الخيانة يا (نور) .. الخيانة العظمى .

* * *

انخرطت (سلوى) فى بكاء حارٍّ عنيف ، بعد أن اصطحب (فهمى) و (سامى) زوجها ، بتهمة الخيانة ، إلى حيث يتم استجوابه فى إدارة المخابرات العلمية ، فى حين جلس والده على مقعد قريب ، زائغ النظرات ، شارد الفكر ، وهو يغمغم فى ذهول :

ــ (نور) خائن ؟!.. هذا مستحيل !! مستحيل !!

هتفت (سلوى) ، وهى تبكى فى حرارة :

ــ لن أصدِّق أنه خائن ، حتى ولو رأيته يسرق أسطوانات الكمبيوتر السِّرِّيَّة هذه بنفسى .

عاد الوالد يردِّد فى ذهول :

ــ هذا مستحيل !! مستحيل !!



قاطعه (فهمى) فى برود ، وهو يصوِّب إليه مسدَّسه الليزرىّ :
ــ إننا نلقى القبض عليك بتهمة الخيانة يا (نور) .. الخيانة العظمى .

نهضت (سلوى) فى حركة حادَّة ، وكفكفتْ دموعها فى صرامة ، وتقول فى عناد :

ــ لن نتركه يواجه هذه المِحْنة وحده .. سأخبر (رمزى) و (محمود) والدكتور (حجازى) .

.. سنتكاتف جميعًا لإخراج (نور) من هذه الورطة المحكمة .

وأسرعت إلى جهاز (التليڤيديو) ، تضغط أزراره فى عصبية وتتابع ، وهى تردف فى صرامة :

ــ سيصارع الفريق كله ، بكل ما يملك من قوَّة ، من أجل قائده ، الذى لا يخون وطنه أبدًا ..

وتدفَّقت الثقة فى عروقها ، وانتقلت إلى صوتها ، وهى تستطرد فى قوَّة :

ــ أبدًا ..

* * *

لم تفارق الحَيْرَة رأس (نور) ، وهو يجلس بين زميليه ، فى تلك السيارة التى تحمله إلى إدارة المخابرات ، فقد كان يعلم ــ مثلهما ــ أن أجهزة الفحص الأمنى لا تخطئ أبدًا ، ولكن هذا كان يزيده حَيْرةً ، فهو واثق من أنه لم يذهب إلى الإدارة اليوم ، أو أمس ، أو حتى منذ أسبوعين كاملين ، وكان

هذا يعنى بالنسبة إليه شيئًا واحدًا ، ألا وهو أنه ضحية خدعة محكمة ، يعجز عن فهمها حتى هذه اللحظة ..

خدعة أُعِدَّتْ لتحاصره حصارًا كاملاً ، قاتلاً ، لا يجد منه فكاكًا ..

وفجأة بدأ القلق يتسلَّل إلى نفسه فى قوَّة ، فلو أن هذه الخدعة قد أُعدّت بهذا الإحكام ، فسيعنى هذا أنه سيحاكم بتهمة الخيانة العظمى ، وعقوبة الإدانة فى مثل هذه التهمة ، هى الإعدام ..

صحيح أنه لا يخشى الموت ، ولكنه يخشى العار ..

العار الذى سيكلِّل ابنته وزوجته ، وأسرته كلها ، بعد تاريخه الحافل بالقتال والصراع من أجل وطنه ..

من أجل (مصر) ..

وتدفَّقت فى عروقه دماء الغضب والحماس ، وتجمَّعت مشاعره كلها ، لتستقر عند هدف واحد ، وقرار واحد ..

الهروب ..

لا بدَّ له من الهروب ، حتى يمكنه أن يسعى لكشف الحقيقة ..

الهروب قبل أن يصل إلى الإدارة ، ويطبق الفخ فكيه حول عنقه ..

ولكنه لم يكد يتوصَّل إلى هذا القرار ، حتى توقَّفت السيَّارة أمام مبنى إدارة المخابرات العلمية ، وقال (فهمى) فى صوت يقطر حزنًا :

ــ لقد وصلنا يا (نور) .. يؤسفنى أن تتطوَّر الأمور إلى هذا الموقف ، الذى يؤلمنى بأكثر مما يؤلمك .

ابتسم (نور) ، وهو يجيبه فى هدوء :

ــ اطمئن يا صديقى .. لن يستمر هذا الموقف طويلاً .

تطلَّع إليه (فهمى) فى حزن ، ثم غادر السيارة ، وهو يقول :

ــ هيَّا يا (نور) .

تباطأ (نور) فى الهبوط ، حتى غادر السائق مكانه خلف عجلة القيادة ، و (سامى) يقول فى صرامة :

ــ هيَّا أيها الرائد .. إنهم ينتظرونك .

هبط (نور) من السيارة فى هدوء ، ثم التفت إلى (سامى) و (فهمى) ، قائلاً :

ــ الموقف كله يؤسفنى يا صديقىَّ ، ولكن الظروف كلها تضطرنى لأن أفعل ما سأفعل .

تطلَّع إليه (فهمى) فى دهشة ، فى حين قال (سامى) فى صرامة :

ــ تقصد ما فعلت .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ بل ما سأفعل يا صديقى .

أدرك (فهمى) فجأة ما يعنيه (نور) ، فأسرعت يده إلى مسدَّسه ، وهو يهتف :

ــ يا إلٰهى !! .. إنه ينوى أن ..

قاطعته لكمة قوية من قبضة (نور) فى معدته ، فانثنى وهو يتأوَّه فى ألم ، وتحرَّك (سامى) يحاول إنقاذ الموقف ، ولكن قبضة (نور) الأخرى أصابت فكه ، وألقته أرضًا ، قبل أن تنجح أصابعه فى التقاط مسدَّسه الليزرىّ ..

وقفز رجال الشرطة من السيارة الأخرى ، يحاولون إيقاف (نور) ، إلَّا أن هذا الأخير قفز إلى السيارة التى أقلَّته فى حركة مرنة سريعة ، وضغط أزرار انطلاقها فى براعة ، لتنطلق به السيَّارة كالصاروخ ، تلاحقها خيوط أشعة الليزر القاتلة . التى مرق منها (نور) فى مهارة منقطعة النظير ، قبل أن ينحرف

فى أول منعطف جانبى ، متجاوزًا الحد الأقصى المسموح به للسرعة داخل المدن ..

وقفز رجال الشرطة إلى سيّاراتهم ، يريدون الانطلاق خلفه ، ولكنَّ الرائد (فهمى) صاح بهم ، وهو يمسك معدته فى ألم :

ـــ لا فائدة .. لن يمكنكم اللّحاق به أبدًا .

هتف (سامى) فى مزيج من الحنَق والألم :

ـــ هل جننت ؟!.. دعهم يطاردونه .

عقد (فهمى) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة وصرامة :

ـــ إنه ضابط مخابرات علمية يا (سامى) ، ولن يفوقه أحدهم جرأة ومهارة فى القيادة .. إنه خبير فى الفرار والمطاردة بحكم عمله .

لوَّح (سامى) بذراعه ، وهو يهتف غاضبًا :

ـــ وهل يعنى هذا أن نسمح له بالفرار ؟

انحنى (فهمى) ليلتقط مسدَّسه الليزرىّ ، وهو يقول :

ـــ اطمئن يا زميلى .. سنحكم الحصار حوله داخل (القاهرة) ، ولن يستمر فراره طويلًا ..

صاح (سامى) فى حَنَق :

ـــ ومن أدراك أنه سيبقى فى (القاهرة) ؟

تطلَّع (فهمى) إلى حيث اختفت سيارة (نور) ، وهو يقول :

ـــ سيبقى يا صديقى .. سيبقى ..

ثم أردف فى لهجة أدهشت زميله :

ـــ سيبقى حتى يجد دليل براءته .

* * *



٦ ــ الهــارب ..

استمع (محمود) و (رمزى) إلى (سلوى) ، وهى تقصّ عليهما ما حدث فى انفعال شديد ، ثم هتف (محمود) فى استنكار بالغ :

ــ (نور) خائن ؟!.. هذا مستحيل بالطبع !!

أما (رمزى) ، فقد سأل (سلوى) فى اهتمام :

ــ هل ذهب (نور) إلى مكتب البريد حقًّا ؟

رمته (سلوى) بنظره مستنكرة ، وهى تقول :

ــ بالطبع يا (رمزى) .. أنت تعلم أن (نور) لا يكذب أبدًا .

أجابها فى هدوء ورصانة :

ــ أجهزة الفحص الأمنى أيضًا لا تخطئ أبـدًا يا (سلوى) .

صاحت (سلوى) فى غضب :

ــ ويلك يا (رمزى) !!.. هل راودك الشكّ فى أن (نور) خائن بالفعل ؟

تنهّد (رمزى) ، وهو يقول :

ــ رُوَيْدَكِ يا (سلوى) .. إنما أحاول التفكير على نحو

عملىّ منطقىّ ، تمامًا كما كان سيفعل (نور) ، لو أن أحدنا هو المتهم بالخيانة .

عادت تصيح فى عصبية :

ــ وهل من العملىّ أو المنطقىّ أن تتصوّر (نور) خائنًا ؟

زفر (رمزى) مرّة أخرى فى ضيق ، قبل أن يقول محاولًا تمالك هدوئه :

ــ مهلًا يا (سلوى) .. إننا لن نعاون (نور) بالعصبية الزائدة ، أو الثقة المفرطة فى صدقه وأمانته ، فلو أن الأدلة تدينه ، حسبما فهمت من قصتك ، فلن يفيده إلّا التفكير الهادئ المنظّم ، حتى ولو أحنقك هذا الأسلوب ، أو أثار غضبك .

أعادت إليها كلماته الصادقة منطقها ، فأطرقت وهى تغمغم فى توتُّر :

ــ معذرةً يا (رمزى) ، ولكنه زوجى ، وأنت خير من يقدّر اضطراب مشاعرى .

غمغم فى إشفاق :

ــ لا عليك .

عادت تسأله فى لهفة واهتمام :

ـــ ما الذى تسعى إليه بالضبط ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، وكأنما يحاول تركيز أفكاره ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ أمامنا الآن حقيقتان لا شك فيهما : أولهما ـــ أن (نور) قد غادر المنزل ، وعاد إليه ، فى نفس الفترة التى تمت فيها عملية الاستيلاء علىَ الأسطوانات السّرّيّة ، دون أن يصحبه أحد ، ودون أن يمتلك دليلا واحدا مؤكّدًا ، يثبت أنه لم يذهب إلى الإدارة ، وثانيا ـــ أن أجهزة الفحص الأمنىّ ، فى إدارة المخابرات العلمية ، قد أكَّدت ـــ بما لا يقبل الشك ـــ أن الشخص الذى سرق الأسطوانات هو (نور) نفسه ، وهذه الأجهزة لم ، ولا ، ولن تخطئ فى تحديد هوية شخص ما ، فهى تفحص ما لا يمكن تزويره أو افتعاله .

عقدت (سلوى) حاجبيها ، وهى تغمغم فى حَنَق :

ـــ إنّك تُدِينُ (نور) هكذا يا (رمزى) .

تجاهل (رمزى) تعليقها الغاضب ، واستطرد فى هدوء :

ـــ لو أننا أضفنا إلى هذين العاملين إصابة (نور) ، التى تسبَّبت فى حدوث ارتجاج مخى ، منذ أسبوعين ، لوجدنا أمامنا تفسيرًا منطقيًا ، على الرغم من ..

قاطعته (سلوى) فى غضب شديد :

ـــ (رمزى) .. هل تتَّهم (نور) بالجنون ؟

ظهر الضيق على وجه (رمزى) ، وهو يقول :

ـــ لست أعنى الجنون يا (سلوى) ، وإنّما ...

بتر عبارته فجأة ، حينما ارتفع صوت طرقات صارمة على باب المنزل ، فتبادل (أفراد) الفريق كلهم نظرة قلقة ، ثم أسرعت (سلوى) تفتح الباب ، وعقدت حاجبيها فى حَنَق ، حينما طالعها وجه الرائد (سامى) ، وهتفت فى عصبيَّة :

ـــ ماذا هناك ؟.. هل قرَّرتم إلقاء القبض علىَّ أيضًا ؟

حَدَجَهَا (سامى) بنظرة صارمة ، وهو يقول فى برود :

ـــ لقد هرب الرائد (نور) يا سيِّدتى .

هتف الجميع فى دهشة :

ـــ هرب ؟!

وشعر الرائد (سامى) بالضيق ، لذلك الارتياح الذى اختلط بصيحة الدهشة ، فعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يردف :

ـــ سنقوم بتفتيش المنزل .. إننى أحمل أمرًا رسميًّا بذلك .

أفسحت له (سلوى) الطريق ، وهى تقول فى لهجة تحمل الكثير من السخرية والشماتة :

ـــ الأمر لا يحتاج إلى أمر رسمىّ أيها الرائد .. هيّا .. المنزل كله تحت أمرك .

* * *

استغرق تفتيش المنزل ساعة كاملة ، قلّب خلالها (سامى) كلَّ ورقة ، بحثًا عن (نور) ، حتى انتهى من عمله ، فغمغم فى صرامة :

ـــ لست أحتاج إلى تذكيركم بأن القانون يعاقب من يُؤْوِى مجرمًا هاربًا و ..

قاطعه (محمود) فى برود :

ـــ إننا نحفظ موادَّ القانون جيِّدًا .

احتقن وجه (سامى) لحظة ، وفتح شفتيه وكأنه يهم بنطق عبارة ما ، إلّا أنه لم يلبث أن عاد يطبقهما ، وهو يندفع خارجًا فى حَنَق واضح ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى هتفت (سلوى) فى سعادة :

ـــ حمدًا لله .. لقد هرب (نور) منهم .

عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يقول فى قَلَق :

ـــ أظن أن هذا يزيد الأمور تعقيدًا ، فلقد أصبح (نور) هاربًا من العدالة ، وستطارده كل أجهزة الأمن بلا رحمة .

هتفت (سلوى) :

ـــ ولكن هذا سيمنحه فرصة لإثبات براءته على الأقل .

تردَّد (رمزى) لحظة ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

ـــ ربَّما .

ولم يكد يلمح تلك النظرة الغاضبة فى عينى (سلوى) ، حتى أسرع يستدرك :

ـــ ولكن أين ذهب (نور) بعد فراره ؟

هتف (محمود) فى اهتمام :

ـــ أعتقد أنك خير من يمكنه استنتاج ذلك ، فأنت تعرف (نور) جيِّدًا ، ثم إنك خبير بالطب النفسىّ .

عقد (رمزى) حاجبيه فى تفكير ، ثم تألّقت عيناه ، وهو يقول فى ثقة :

ـــ بالطبع .. هناك مكان واحد يمكن أن يلجأ إليه (نور) فى مثل هذه الظروف .

وازدادت عيناه تألقًا ، وهو يردف فى انفعال :

ـــ منزل الدكتور (محمد حجازى) ..

* * *

وقف الدكتور (محمد حجازى) ، أمام باب معمله الخاص ، الملحق بمنزله ، يتطلّع فى هدوء إلى وجه الرائد (فهمى) ، الذى يقول فى لهجة تحمل نبرة احترام واعتذار :

ـ مَعْذِرةً لمقاطعتى عملك يا سيِّدى ، ولكننى ذهبت إلى منزلك أوَّلا ، فأخبرتنى السيِّدة زوجتك أنك هنا .

ارتسمت ابتسامة حانية على شفتى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ لا بأس يا بنى .. هل من خدمة يمكننى تقديمها لك ؟

تنحنح (فهمى) ، وهو يقول فى ارتباك :

ـ إنها زيارة عمل فى الواقع يا سيِّدى ، فنحن نبحث عن ضابط خائن و ..

قاطعه الدكتور (حجازى) فى هدوء ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه :

ـ ضابط خائن ؟!.. وما علاقتى بهذا الأمر يا ولدى ؟

ازداد ارتباك (فهمى) ، وهو يغمغم :

ـ إنك تعرفه يا سيِّدى .. إنه الرائد (نور الدين) !!

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ (نور) ؟!.. لو أننا فى الأوّل من إبريل ، لقلت إنها مُزْحة سخيفة يا ولدى .

أطرق (فهمى) برأسه ، وهو يغمغم فى أسف :

ـ هذا يؤلمنا جميعًا يا سيِّدى ، ولكن الأدلَّة كلها تؤيِّد ذلك .

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه فى امتعاض ، ثم عاد يسأل (فهمى) فى هدوء :

ـ وماذا تريد منِّى يا ولدى ؟

تلعثم (فهمى) ، وهو يغمغم فى احترام :

ـ لقد قمنا بتفتيش منزلك يا سيِّدى ، بناء على أمر رسمىّ بالطبع ، ولو سمحت لنا ، فسنقوم بتفتيش معملك الخاصّ .

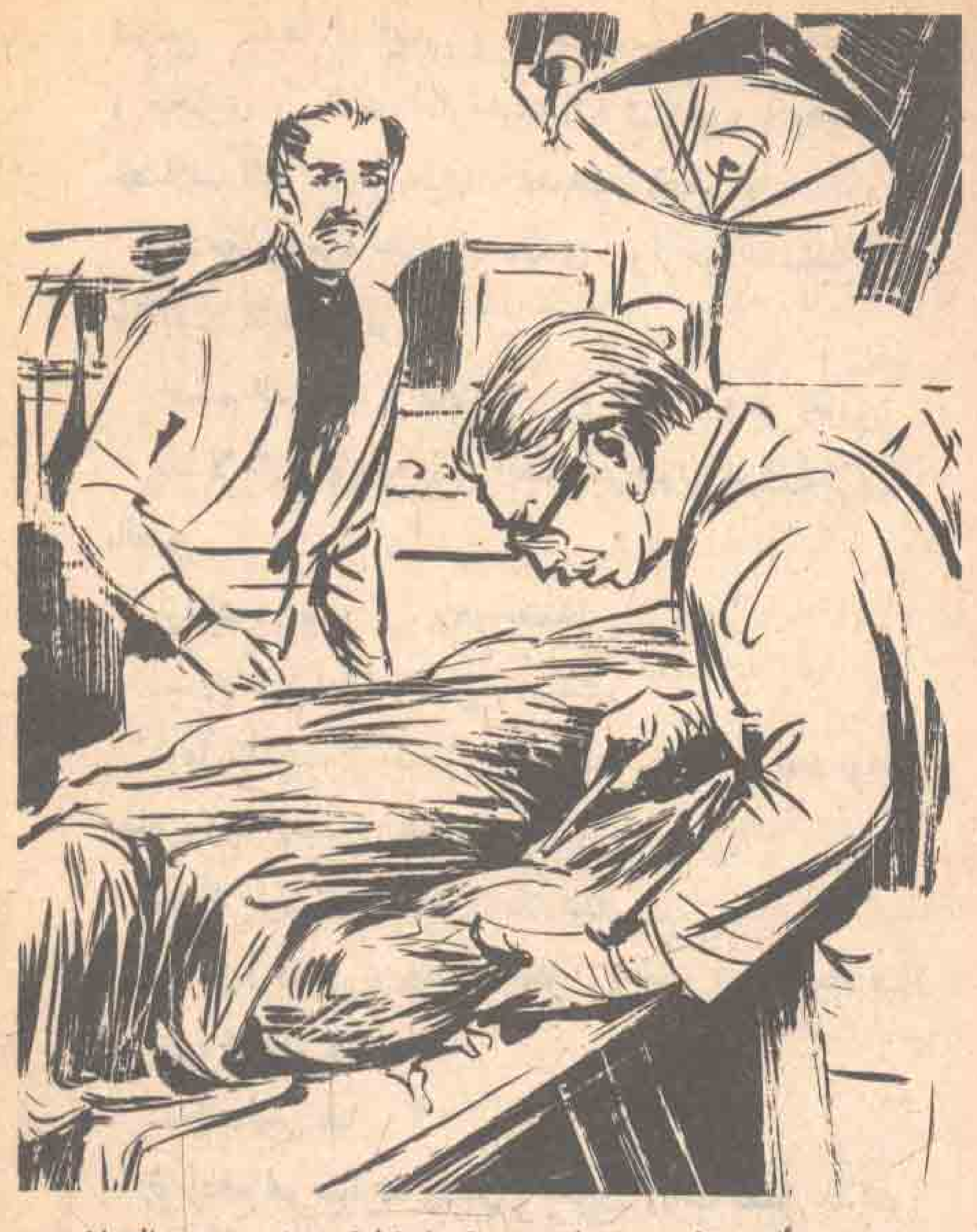
عاد الدكتور (حجازى) يمطّ شفتيه ، ويهزّ كتفيه ، قائلا :

ـ لا بأس يا ولدى .. ها هوذا أمامك ..

وأفسح له الطريق فى هدوء ، وهو يستطرد :

ـ ولكن لا أظنك تمانع فى أن أواصل عملى فى أثناء تفتيشك لمعملى .

هتف (فهمى) :


فى حين ألقى (فهمى) نظرة سريعة على الجثة ، وشعر ببعض الغثيان .

ـ بالطبع يا سيِّدى .. بالطبع .

اتَّجه الدكتور (حجازى) فى هدوء نحو مائدة فحص قريبة ، استقرَّت فوقها جثة هامدة ، تغطيها ملاءة خضراء ، والتقط أدوات التشريح الخاصة به ، وأدار جهاز تسجيل صغير ، وكشف ذراع الجثة ، وأخذ يعمل فيها مبضعه ، ليزيل طبقة الجلد الخارجية ، ويكشف العضلات فى مهارة ، وهو يملى ملاحظاته على جهاز التسجيل ، فى حين ألقى (فهمى) نظرة سريعة على الجثة ، وشعر ببعض الغثيان ، حينما لمح ما يفعله الدكتور (حجازى) بذراعها ، وتساءل فى دهشة وهو يشيح برأسه ، عن موقف زوجة الدكتور (حجازى) من تلك الجثث ، التى يحضرها إلى معمله الخاص ، الملحق بمنزله ، ثم عاد يلقى الأمر كله جانبًا ، ويتفحَّص المعمل فى اهتمام ..

لم يكن هناك ركن واحد يمكن أن يختبئ به (نور) ، فلم يكن المعمل يحوى سوى مائدة الفحص ـ السابق ذكرها ـ وميكروسكوب أيونى ، تحتل شاشته الصغير ركن المعمل ، ومنصّة كبيرة ، اصطفَّت فوقها بعض أجهزة الفحص والتحاليل ، وصوان للأدوات ..

ولم يستغرق تفتيش المكان بأكمله أكثر من خمس دقائق ،

تنحنح بعدها (فهمى) ؛ ليجذب انتباه الدكتور (حجازى) ، الذى أدار عينيه إليه فى هدوء ، وهو يفصل عضلات الذراع من منبتها ، فغمغم (فهمى) :

— مَعْذِرةً مرّة أخرى يا سيّدى ، وأرجو أن تبلغنا إذا ما لجأ إليك الرائد (نور) .

ابتسم الدكتور (حجازى) فى خبث ، وهو يقول :

— لا داعِىَ يا ولدى .. إنكم ستراقبون المنزل ليلًا ونهارًا بالطبع .

ارتبك (فهمى) ، وهو يغمغم :

— إنها إجراءات الأمن يا سيّدى .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه متفهمًا ، وعاد يواصل عمله ، وهو يتمتم فى هدوء :

— بلا شك يا ولدى .. بلا شك .

أسرع (فهمى) يغادر المعمل ، والتقى أمام بابه بأفراد الفريق ، فغمغم فى اعتذار :

— إنه ليس هنا .

ثم اندفع نحو سيارته ، فدقّ (رمزى) باب معمل الدكتور

(حجازى) فى هدوء ، ولم يكد هذا الأخير يفتح بابه ، حتى سألته (سلوى) فى لهفة :

— إين (نور) يا دكتور (حجازى) ؟

أشار إليهم الدكتور (حجازى) بالدخول فى هدوء ، وأغلق الباب خلفهم ، وهم يتفحَّصون المكان فى لهفة ، قبل أن تهتف (سلوى) فى يأس :

— يا إلهى !!.. إنه لم يأت إلى هنا .

ابتسم الدكتور (حجازى) فى هدوء واتجه إلى حيث ترقد الجثة ، والتقط الذراع التى ظلَّ يعمل عى تشريحها ، طيلة وجود الرائد (فهمى) ، فانفصلت عن الجثة فى سلاسة ، وبدت مبتورة من منبتها ، قبل أن يقول هو فى هدوء

— حسنًا أيها الهارب ، يمكنك أن تنهض .. إنهم أفراد فريقك .

وفجأة ، وأمام عيون أفراد الفريق المشدوهة تحرَّكت الجثة ، التى تختفى أسفل الملاءة الخضراء ، وأزاحت الملاءة لتنهض جالسة ، وهتفت (سلوى) فى مزيج من الدهشة والسعادة والحب :

— (نور) .. حمدًا لله !!.. حمدًا لله !!

وألقت نفسها بين ذراعيه ..

* * *

٧ ــ نظرية الاحتمالات ..

عقدت (مشيرة محفوظ) ، صحفية أنباء الڤيديو الشهيرة ، حاجبيها فى حَنَق ، وهى تقول فى استنكار ، موجِّهةً حديثها إلى رئيس تحرير الصحيفة :

ــ أى هراء هذا يا سيِّدى ؟.. إننى لن ألقى هذا البيان أبدًا ، حتى ولو أدَّى الأمر إلى فصلى من الجريدة .

كان رئيس التحرير يعلم أنه يواجه أكثر صحفيات جريدته المجسَّمة عنادًا وكفاءة ، فتجاهل أسلوبها الفظ ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لن يصل الأمر إلى حد الفصل يا (مشيرة) .. إنه بيان رسمىّ ، وهناك أمر صارم من المخابرات العلمية بحتمية بثّه على كل موجات إرسالنا المجسَّم ، ولو رفضت أنت إلقاءه ، فسيلقيه صحفىٌ آخر .

لوَّحت بذراعها ، وهى تقول فى سخط :

ــ فليلقه من يشاء ، ولكننى لن أفعل .. لقد أصابهم الجنون .. إننى أكثر من يعرف الرائد (نور) هنا ، وهو ــ

فى نظرى ــ أعظم ضباط المخابرات العلمية ، وأكثرهم ذكاءً وبراعة ، وهو من ذلك النوع الذى لا يخون أبدًا .

هزَّ رئيس التحرير كتفيه ، وهو يغمغم :

ــ مَنْ يَدرِى ؟ و.. ربَّما ..

قاطعته (مشيرة) فى حِدَّة :

ــ إننى أرفض أى احتمال ، مهما بدا منطقيًا .

ابتسم رئيس التحرير ، وهو يقول :

ــ أردت أن أقول : إنه ربَّما كان الأمر كله مجرَّد خدعة مدروسة ، أو خطة للإيقاع بشخص ما .

عقدت (مشيرة) حاجبيها ، وهى تفكِّر فى هذا الاحتمال الجديد ، الذى لم يخطر ببالها من قبل ، ثم عادت تهزّ رأسها فى عناد ، وهى تقول :

ــ حتى ولو كان الأمر كذلك .. لن ألقى هذا البيان أبدًا .

* * *

هتف (رمزى) ، وهو يتطلَّع إلى الدكتور (حجازى) فى إعجاب :

ــ خدعة رائعة يا سيِّدى .. أراهن أن الرائد (فهمى)

قد فتّش معملك كله ، دون أن يقترب من الجثة ، ما دمت تقوم بتشريح تلك الذراع ، التى ظنها ذراعها .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هذا ما حدث بالفعل ، ولحسن الحظ أننى كنت أجرى بعض تجارب الطبّ الشرعىّ ، التى استلزمت إحضار هذه الذراع إلى معملى .

هتف (محمود) :

ــ أنت شجاع وعبقرىّ يا سيّدى ، فلقد خدعت من ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ــ الأمر لم ينته بعدُ يا (محمود) .

قالت (سلوى) فى حنان :

ــ المهم أنك قد نجوْت يا (نور) .

عقد حاجبيه ، وهو يقول بمزيد من الصرامة :

ــ ليس بعدُ يا (سلوى) ، فما زلت هاربًا من العدالة ، وستزداد الأمور تعقيدًا كلّما طالت مدة هروبى ، بالإضافة إلى أنه هناك شخص ما ، أعدّ خطة محكمة ، جعلته يفوز بالعديد من وثائقنا السرّيّة .

مطّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وهو يقول فى حَيْرة :

ــ لقد عاونتك على الهروب ؛ لأننى أثق تمامًا فى أنك لست خائنًا يا (نور) ، ولكن الأمر برُمّته يبدو لى غامضًا محيّرًا ، فلم يحدث أن أخطأت أجهزة الفحص الأمنىّ من قبلُ .

تنحنح (رمزى) فى حرج ، قبل أن يقول فى تردّد :

ــ لدىَّ نظريّة فى هذا الشأن يا دكتور (حجازى) .. أعلم ، أنها لن تروق لكم ، ولكنها أكثر الاحتمالات منطقية .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ ما هى نظريتك يا (رمزى) ؟

تردّد (رمزى) لحظة ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

ــ نظريتى تقول إنك قد فعلت ذلك حقًّا يا (نور) ، دون أن تدرى .

حدّق الجميع فى وجهه فى دهشة واستنكار ، فأطرق برأسه ، وهو يستطرد فى حزن :

ــ فعلته فى حالة انفصام شخصية كامل .

* * *

مضت دقيقة كاملة ، والجميع يحدّقون فى وجه (رمزى) فى ذهول ، قبل أن يسأله (نور) فى هدوء :

ـــ وما الذى دفعك إلى وضع هذا الاحتمال يا (رمزى) ؟

مطَّ (رمزى) شفتيه ، وقلَّب كفيه فى أسف ، وهو يقول فى حزن :

ـــ إصابة رأسك منذ أسبوعين يا (نور) .. فى كثير من الأحيان ، يؤدى ارتجاج المخ إلى ظهور أعراض مرضيَّة نفسيَّة عجيبة ، وهذه الأعراض لا تسجِّلها أجهزة فحص الإشارة المخية بالطبع ، فهى ليست أمراضًا عضويَّة ، وإنما هى أعراض كامنة فى العقل الباطن ، وفى حالتك هذه أدَّى ارتجاج المخ عندك إلى حدوث انفصام الشخصية (الاسكيزوفرانيا) ، أو كما يطلق عليه العامة اسم (شيزوفرانيا) ، فأصبحت فى أعماقك شخصيَّتان : إحداهما يسيِّرها عقلك الواعى ، الذى يؤمن بوطنه ، ويحارب من أجله ، والأخرى يتحكَّم فيها عقلك الباطن ، الذى يشعر بالتبرُّم من المرتب الضئيل الذى تتقاضاه ، على الرغم من تفانيك فى عملك ، ومخاطرتك بحياتك من أجل وطنك .

عقد (نور) ساعديه أمام صدره فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ إذن فأنت ترى أنّ عقلى الباطن يرغب فى خيانة وطنى .

هتف (رمزى) :

ـــ لا يا (نور) .. إن تحليلى النفسى هذا لا يعنى أن تخون وطنك ، فقد تكون قد حصلت على أسطوانات الكمبيوتر السّرّيّة بالفعل ، ولكنك لن تسلِّمها لأعداء وطنك أبدًا ، فسيبقى عقلك الواعى كالحارس الهمام ، يحول بينك وبين الخيانة الفعلية .

لاذ الجميع بالصمت ، فيما عدا (نور) ، الذى عاد يسأل (رمزى) فى هدوء :

ـــ ولكن لو أننى مصاب بانفصام الشخصية حقًّا ، فقد كان ينبغى أن يفقد عقلى ذاكرة الفترة التى تقمَّص فيها الشخصية الأخرى .

رفع (رمزى) سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ـــ ليس هذا ضروريًّا يا (نور) ، فقد يلجأ فى هذه الحالة إلى أسلوب دفاعى ، فيختلق ذهابك إلى مكتب البريد الآلى ، ويقنعك به تمامًا ، حتى يجد تبريرًا لفترة الغياب غير المفهومة .

ثم عاد يطرق بوجهه ، مستطردًا فى مزيج من الحزن والأسف :

ـــ آسف يا (نور) ، ولكن هذا هو التفسير المنطقى

الوحيد ، لتأكد أجهزة الفحص الأمنى ، التى لا تخطئ أبدًا ، من أنك سارق الأسطوانات .

ابتسم (نور) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ خطأ يا صديقى .. هناك تفسير منطقىّ آخر .

تطلّع إليه الجميع فى اهتمام ، فى حين سألته (سلوى) فى لهفة :

ــ ما هو يا (نور) ؟

لوَّح بكفه ، وهو يقول :

ــ إن عمل أجهزة الفحص الأمنى يعتمد على مقارنة دلائل الشخص الذى تفحصه ، بتلك المخزونة لديه مسبقًا .

هتف (محمود) ، وقد أدرك ما يعنيه :

ــ يا إلهى !!.. هل تعنى ..؟

قاطعه (نور) فى هدوء :

ــ نعم يا صديقى .. لقد أبدل أحدهم بطاقة الكمبيوتر الخاصَّة بى ، فى أرشيف أجهزة الفحص الأمنىّ الإليكترونى .

* * *

انهمكت (سلوى) فى تشغيل جهاز الكمبيوتر الصغير ، فى معمل الدكتور (حجازى) ، الذى غمغم فى قلق ، وهو يراقب ما تفعله :

ــ هل تظن أنها ستنجح ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ اطمئن يا دكتور (حجازى) ، فكل أجهزة الكمبيوتر فى (مصر) تتصل بخلية كمبيوترية واحدة ، نطلق عليها اسم الخلية المركزية الأم ، ولكن كل جهاز كمبيوتر له شفرة خاصة ، لا يمكنه أن يعمل بدونها ، وما تفعله (سلوى) الآن هو محاولة التسلّل إلى الخلية الأم ، عبر برنامج كمبيوتر معقّد ، ثم إضافة الكود الخاص بكمبيوتر أرشيف أجهزة الفحص الأمنى ، فى إدارة المخابرات العلمية ، حتى يمكننا استحضار بطاقة الكمبيوتر الخاصَّة بى ، على شاشة جهازك الصغير .

عقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وهو يقول فى مزيد من القلق :

ــ وهل تطلب منّى أن أطمئن ؟.. إن ما تفعله زوجتك بالغ الخطورة ، ولو أنها نجحت فسيعنى ذلك أنه من الممكن أن يفعل غيرها هذا ، ولو أن هذا يصلح لانتزاع معلومات خاصَّة ، من أخطر أجهزة الأمن عندنا ، وهو جهاز المخابرات العلمية ، فقل على أمننا السلام .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا دكتور (حجازى) .. إن الكود الشفرى

لكمبيوتر الإدارة بالغ الصعوبة والتعقيد ، حتى ليحتاج المرء إلى سبعة آلاف مليار محاولة ، ليتوصَّل إلى رمز واحد من رموزه السبعة .

ارتفع حاجبا الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى!! .. هذا يعنى أننا نحتاج إلى مليون سنة على الأقل ، حتى ننجح فيما تفعله زوجتك يا (نور) .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ـ من حسن الحظ أننى أعرف الكود الشفرى يا دكتور (حجازى) ، فأنا واحد من فريق إدارة المخابرات العلمية الخاص ، المسموح له بمعرفة أدق أسرار الإدارة .

زفر الدكتور (حجازى) فى ارتياح ، قبل أن يغمغم :

ـ فى هذه الحالة فالأمر يختلف ، فلو أنك لا ..

قاطعه (محمود) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ مَعْذِرةً يا سيِّدى .. لقد أعددت أجهزتى .

سأله الدكتور (حجازى) فى دهشة :

ـ أية أجهزة ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ أجهزة تشبه أجهزة الفحص الأمنى فى الإدارة يا سيِّدى .. مع فارق بسيط .

وفى هدوء ألصق (نور) كفَّه بشاشة جهاز صغير ، يشبه جهاز الفحص الأمنى فى الإدارة ، وتعاقبت ألوان الشاشة على نفس النحو ، ثم انبعث ذلك الشعاع البنفسجى ، الذى فحص بصمات قزحية (نور) فى عناية ، قبل أن يصدر الجهاز أزيزًا خافتًا ، وتخرج من فتحة صغيرة فى جانبه بطاقة مغناطيسية خاصة ، تحمل كل بيانات (نور) ، فى نفس اللحظة التى قالت فيها (سلوى) :

ـ لقد وصلت إلى الخلية الأم يا (نور) ، وأحتاج إلى كود إدارة المخابرات العلمية .

أسرع (نور) إلى جهاز الكمبيوتر ، وقال لزوجته فى صرامة :

ـ ابتعدى يا (سلوى) .. غير مسموح للمدنيين بالاطلاع على شفرتنا الكوديَّة .

أدارت (سلوى) عينيها فى ضيق ، فى حين أضاف هو رموز الشفرة الكوديَّة فى سُرْعَة ، ثم أخذ يضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة ومهارة ، حتى ارتسمت على شاشته عدة خطوط رأسية ، فهتف (نور) :

ـ ها هى ذى البطاقة الإلكترونية ، التى تحمل بياناتى فى أرشيف الإدارة يا رفاق .

التقط (محمود) البطاقة المغناطيسية ، التى أخرجتها أجهزته ، وأسرع يدسّها فى فراغ ضيق ، فى جانب الكمبيوتر ، وهو يقول فى ثقة :

ـ أراهنكم أن الكمبيوتر سيئن من شدة الاختلاف بين البطاقتين .

ولكن عيون الجميع اتسعت فى ذهول ، وارتجفت قلوبهم فى ألم ، حينما أضاءت شاشة الكمبيوتر بضوء فيروزى هادئ ، وتراصت فوقها حروف كلمة واحدة .. « مطابقة » !!

* * *

٨ ـ اثنان فى واحد ..

ساد وجوم رهيب ، داخل المعمل الخاص للدكتور (محمد حجازى) ، وارتسم مزيج من الجزع والألم والذهول على وجوه الجميع ، وسط صمت تام ، دام طويلًا قبل أن يتسلّل صوت (رمزى) عَبْره فى حزن ، وهو يغمغم :

ـ أظنك تحتاج إلى علاج نفسى يا (نور) .

لم تغضب (سلوى) هذه المرّة ، ولم تحتد ، بل أطرقت برأسها ، وتركت العنان لدموعها ، على حين أشاح (محمود) برأسه فى مرارة ، وبدا الدكتور (حجازى) جامدًا ، واجمًا ..

أمّا (نور) ، فقد ارتسمت الحَيْرة فى ملامحه لحظة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى عناد ، وهو يقول :

ـ كلّا يا (رمزى) .. مازلت أصرّ على أنها مجرّد خدعة ، وإن تمّ إحكامها ببراعة منقطعة النظير .

غمغم (رمزى) فى مرارة :

ـ (نور) .. أرجوك !!

هتف (نور) فى حِدّة :

— لا تحاول يا (رمزى) .. إن عقلى يرفض الاقتناع بما تقول .. إننى أشعر أن هناك أمرًا ما ، فربما أعاد أصحاب هذه الخدعة بطاقتى الإليكترونية العاديَّة ، بعد أن أتمّوا خدعتهم ، تحسبًا لمثل هذا الموقف .

تضاعف الحزن فى عينى (رمزى) ، وهو يغمغم :

— (نور) .. أنت لا تدرى ماذا تفعل .. أنت غير مسئول قانونًا عن السرقة التى ارتكبتها .. سأدلى بشهادة رسميّة بذلك عندما ..

قاطعه (نور) فى غضب وانفعال :

— كفى يا (رمزى) .. لن يمكنك إقناعى أبدًا بأننى مجرَّد دُمْيَة ، يسيِّرها عقلى الـ ..

بتر (نور) عبارته فجأة ، وعلى نحو أثار دهشة الجميع ، وارتسم فى عينيه ذعر هائل ، وهو يغمغم فى ارتياع :

— يا إلهى !!.. هل من الممكن أن ...؟

مرَّة أخرى بتر عبارته دون أن يكملها ، فهتفت به (سلوى) فى جزع :

— ماذا هناك يا (نور) ؟

التفت إليها يسألها فى انفعال :

— أين والدى ؟

أثار اهتمامه المفاجئ بغياب والده دهشة الجميع ، فتطلّعوا إليه فى حَيْرَة وتساؤل ، فى حين غمغمت (سلوى) :

— لست أدرى يا (نور) .. لقد بدا مذهولًا بعض الوقت ، بعد أن تم إلقاء القبض عليك فى المنزل ، ثم انصرف فجأة قبل وصول (رمزى) و (محمود) ، دون أن يخبرنى إلى أين يذهب ..

هتف (نور) فى قلق واضح :

— يا إلهى !!.. لقد أدرك ما لم أدركه أنا سوى الآن .

سأله الدكتور (حجازى) فى لهفة :

— ما الذى أدركته يا (نور) ؟

اجتاح (نور) انفعال شديد ، ظهر واضحًا فى صوته وملامحه ، وهو يقول :

— سأخبركم يا دكتور (حجازى) .. سأخبركم بما أظنه الحل الصحيح لكل ما يكتنف هذا الموقف من غموض ..

* * *

تطلَّع الدكتور (منصور) إلى والد (نور) فى برود ، وتململ فى مجلسه ، وهو يقول فى ضجر :



اجتاح (نور) انفعال شديد ، ظهر واضحًا فى صوته وملامحه وهو يقول :
ــ سأخبركم يا دكتور (حجازى) .

ــ ما الذى أردت مقابلتى من أجله ؟.. أنت تعلم أن وقتى ثمين و...

قاطعه الوالد فى صرامة :

ــ ماذا فعلت بولدى يا دكتور (منصور) ؟

عقد الدكتور (منصور) حاجبيه ، وهو يتأمّل والد (نور) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن استعاد بروده ، وهو يقول :

ــ لقد أجريت له جراحة ميكروسكوبية خاصّة ، لإنقاذ حياته ، بعد ذلك الحادث الذى تعرّض له و ..

نهض الوالد من مقعده فجأة ، وأستند براحتيه إلى سطح مكتب الدكتور (منصور) ، ومال بوجهه نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ إنه ليس حديثًا صحفيًا يا دكتور (منصور) .. إننى أسألك عمّا صنعته بعقل ابنى ؟

هتف الدكتور (منصور) فى حدّة :

ــ هل أصابك الجنون يا رجل ؟

اعتدل والد (نور) ، وهو يقول فى غضب :

ــ ربّما .. ولكن هذا الجنون جعلنى أرى ما لم أره فى الوقت المناسب .

ولوَّح بذراعه ، وهو يستطرد :

ـ دعنا نراجع ما حدث أيها العالم العبقرىّ .. لقد كان ابنى واحدًا من أعظم وأبرع ضباط المخابرات العلمية فى (مصر) ، وأكثرهم إخلاصًا لوطنه ، ثم تعرَّض فجأة لحادث غامض عجيب ، كاد يُودِى بحياته ، لولا أن ظهرت أنت فجأة ، وعلى نحو مثير للعجب والدهشة .. والرِّيبة أيضًا ، فأسرعت تحمله إلى المستشفى الذى تعمل به ، والذى تمارس فيه بعض التجارب العلميَّة الغامضة ، التى ترفض الإفصاح عنها ، سوى لمساعديك (حازم) و (هشام) ، كما أثبتت تحرياتى ، التى أجريتها فى فترة انتظار قدومك ، وأجريت لولدى جراحة بارعة ، أنقذت حياته ، ثم بقيت وحدك معه بعض الوقت ، لإجراء ما أطلق عليه زملاؤك الأطباء اسم (الفحوص الخاصَّة) ، وبعدها تحوَّل ولدى فجأة إلى خائن ، يسرق أسرار وطنه .

صاح الدكتور (منصور) فى غضب :

ـ لقد جننت ولا ريب .

هتف الوالد فى صرامة غاضبة :

ـ قلت لك ربَّما ، ولكن جنونى هذا جعلنى أتصوَّر أنك

قد أجريت إحدى تجاربك الشيطانية الملعونة على ولدى ، وزرعت فى مخه شيئًا ما ، جعله رهن إشارتك ، وتدفعه إلى إتيان ما يرفضه عقله الواعى .

قفز الدكتور (منصور) من مقعده ، وهو يصرُخ فى ثوْرة :

ـ غادِرْ مكتبى أيُّها المجنون ، وإلَّا أمرتهم بإلقائك خارجًا ..

اعتدل الوالد فى صرامة ، وهو يقول فى حزم مخيف :

ـ سأغادر مكتبك أيُّها المجرم ، لأننى لا أملك الدليل الكافى بعدُ لإدانتك ، ولكننى لن أتركك لتواصل عملك الحقير الشرير هذا ، وثق أنك ستدفع الثمن .. وهذا وعد .

* * *

هتف الدكتور (حجازى) فى دهشة ، بعد أن استمع الجميع إلى (نور) :

ـ ولكن هذا مستحيل يا (نور) !!.. لو أن الدكتور (منصور) قد فعل هذا ، لكان من الضرورىّ أن يفعله فى حجرة العمليات الجراحية ، أمام أعين معاونيه ، وهذا مستحيل .

قال (نور) فى صرامة :

ــ إنها جراحة ميكروسكوبية يا دكتور (حجازى) ، ومن الممكن أن يكون حجم ذلك الجهاز ، الذى زرعه فى مخى ، صغيرًا إلى الحدِّ الذى يمكِّنه من إضافته ، دون أن يلحظ معاونوه ذلك .

تسلَّل الشكّ إلى صوْتِ (رمزى) ، على الرَّغم منه ، وهو يغمغم :

ــ إنه تفسير عجيب يا (نور) .

وهتف (محمود) فجأة :

ــ ولكن يمكن التأكّد منه .

سأله الجميع فى آن واحد :

ــ كيف ؟

هتف فى حماس :

ــ بفحوص الأشعة .

وكأنما شعر أن عبارته لا تكفى ، فأسرع يستطرد فى حماس :

ــ أيًا كان حجم وشكل هذا الشىء ، فهو يختلف قطعًا عن الخلايا الطبيعية فى المخ ، وباستخدام أشعة

(رونتجن) (*) ، يمكننا الحصول على صور واضحة لأى جسم غريب فى مخ (نور) ، ويمكننا أيضًا تكبير الصُّوَر بالكمبيوتر ، وكشف أى اختلاف بين ذلك الجسم والخلايا الطبيعية للمخ ، مهما كان ضئيلاً .

انتقل حماسه إلى الدكتور (حجازى) ، الذى هتف بدوْره :

ــ يمكننا التأكُّد من ذلك فورًا .. عندى هنا فى معمل جهاز لأشعة (رونتجن) .

صاحت (سلوى) فى أمل :

ــ نعم .. فلنبدأ فورًا .

ثم استطردت فى صوت مختلج :

ــ ربَّما عثرنا على دليل براءتك يا (نور) .

* * *

كان الغضب يعصف بوالد (نور) ، وهو يغادر المستشفى

(*) يطلق عليها اسم الأشعة السينية ، أو أشعة (إكس) ، ولقد اكتشفها العالم الفيزيائى (ڤيلهلم كونراد رونتجن) (١٨٤٣ ــ ١٩٢٣) ، ونال عنها جائزة (نوبل) للفيزياء ، عام ١٩٠١ .

فى خطوات واسعة سريعة ، ولكن طبيبًا شابًّا أسرع خلفه ، واستوقفه قائلًا :

ــ مهلًا يا سيِّدى .. لحظة أرجوك .

توقَّف والد (نور) ، والتفت إلى الشاب فى حِدَّة ، فابتسم الشاب وهو يقول فى هدوء :

ــ هل تسمح لى بالتحدث إليك بعض الوقت ؟

سأله الوالد فى لهجة جافّة :

ــ من أنت ؟

حافظ الطبيب الشاب على ابتسامته ، وهو يقول :

ــ أنا مساعد الدكتور (منصور) ، وكنت فى طريقى لتناول طعام الغذاء فى المطعم الآلى ، فى نهاية الشارع .. هل تسمح لى بدعوتك لمشاركتى .

أجابه الوالد فى عصبية :

ــ هذا يتوقَّف على أهميَّة ما لديك .

اتسعت ابتسامة الشاب ، وهو يقول :

ــ إنه أمر يتعلَّق بابنك الرائد (نور) .

اختلج قلب الأب بين ضلوعه ، وهو يقول فى عصبية زائدة :

ــ ماذا تعرف عمّا أصاب (نور) ؟

أمسك الطبيب الشاب ذراع الوالد فى رفق ، وقاده فى هدوء إلى سيارته الصاروخية الصغيرة ، التى تتوقَّف فى المكان المخصَّص لانتظار سيَّارات أطباء المستشفى ، وهو يقول :

ــ رُوَيْدَك يا سيِّدى .. سأخبرك بكل شىء .. سنذهب فى سيارتى إلى المطعم الآلى أوّلًا .

أسرع الوالد يركب سيَّارة الطبيب الشاب ، الذى أدار محرِّك سيارته ، وانطلق بها فى هدوء ، والوالد يسأله فى توتُّر بالغ :

ــ هيَّا .. أخبرنى ماذا لديك ؟

ابتسم الطبيب الشاب ، وهو يقول :

ــ لقد سمعت حديثك مع الدكتور (منصور) ، وأحب أن أبلغك أنك مخطئ .

عقد الوالد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ هل أرسلك لتبلغنى ذلك ؟

ظلَّ الطبيب الشاب هادئًا مبتسمًا ، وهو يقول :

ــ إنه لا يعلم شيئًا عن قدومى إليك ، ولكن أسلوبك العنيد هذا قد يفسد كل شىء .

على الرغم من ابتسامة الطبيب وهدوئه ، إلَّا أن قلقًا خفيًا تسلَّل فجأة إلى قلب والد (نور) ، فتطلَّع إلى الطريق فى توتُّر ، وهو يقول :

ــ كيف سمعت حديثى مع الدكتور (منصور) ، لقد كانت حجرته مغلقة ، وجدرانه عازلة للصوت ؟.. ثم لماذا تجاوزت حدود المدينة ؟.. ألم تقل إننا ..؟

بتر الوالد عبارته فجأة ، وارتسم الجزع فى ملامحه وعينيه ، وهو يدير رأسه إلي الطبيب الشاب فى حركة حادَّة ، هاتفًا :

ــ يا إلهى !!.. إذن فهو أنت ؟!! .

تحوَّلت ابتسامة الطبيب الشاب إلى زمجرة شرسة ، وهو يقول :

ــ نعم .. إنه أنا .

وفجأة ضغط زرًّا صغيرًا فى عجلة القيادة ، اندفع على أثره رذاذ قوىّ من سائل مخدِّر فى وجه الأب ، الذى فقد وعيه فورًا ، فى حين أوقف الطبيب الشاب سيارته ، وغمغم فى سخرية ، وهو يخفى أنفه وفمه بكفه :

ــ معذرة أيها العنيد .. لابدَّ من التوقُّف حتى لا أفقد وعيى إلى جوارك .

وانطلقت من حنجرته ضحكة ساخرة مخيفة ..

* * *



٩ ـــ الهجوم الليلىّ ..

توقّفت سيارة صاروخية صغيرة فى بداية الطريق ، المؤدّى إلى منزل الدكتور (حجازى) ، مع غروب الشمس ، والتفت قائدها إلى الشابّ الجالس إلى جواره ، والذى يخفى وجهه بضمادات كثيفة ، وسأله فى اهتمام ؟

ـــ هل أنت واثق من أنه هنا ؟

أجابه الشابّ فى هدوء :

ـــ تمام الثقة .

تطلّع قائد السيّارة مرّة أخرى إلى الطريق ، وهو يغمغم فى قلق :

ـــ إنهم يراقبون المكان .

عاد الشابُّ يقول فى هدوء :

ـــ لو سارت الخطة كما وضعتها تمامًا ، فلن يجديهم هذا .

ابتسم قائد السيّارة ، وهو يقول :

ـــ يبدو أن عبقريّتك ستفيدنا كثيرًا .

أجابه الشابّ فى برود :

ـــ أكثر مما تتوقّعون .

ساد الصّمت بينهما لحظات ، قبل أن يغمغم قائد السيّارة ..

ـــ ومتى تبدأ ؟

استرخى الشابّ فى مقعده ، وهو يقول :

ـــ حينما يحين الوقت المناسب .. اطمئن .

وأسبل عينيه ، وهو يستطرد فى هدوء :

ـــ لكل شىء وقته يا صديقى .. حتى إصابة غريمنا العزيز بالجنون .

* * *

استسلم (نور) تمامًا لـ (محمود) ، الذى انهمك فى التقاط صُوَر أشعة (رونتجن) ، ونقلها إلى شاشة الكمبيوتر ، حيث وقف الدكتور (حجازى) ، و (رمزى) ، و (سلوى) يراقبونها فى اهتمام ، وأخذ الدكتور (حجازى) يصف ما يراه ، قائلًا :

ـــ خلايا المخ تبدو طبيعية .. لا توجد أجسام غريبة بينها.

ثم أردف فى اهتمام :

ـــ ضاعف الحجم خمس مرات يا (محمود) .

ضغط (محمود) أزرار جهاز الفحص الإشعاعى فى سرعة ، فتضاعف حجم الصورة خمس مرات ، وبدأت شاشة الكمبيوتر تعرض أجزاء الصورة المكبَّرة بالتتابع ، حتى غمغم الدكتور (حجازى) فى توتُّر :

ـــ لا شىء .. فلنضاعفها عشر مرّات .

عاد (محمود) يضاعف حجم الصُّورَة ، والجميع يفحصون المَشْهَد فى قَلَق ، وتوتُّرهم يتصاعد مع كل جزء يعرضه الكمبيوتر ، حتى أعلن الكمبيوتر انتهاء عرض جميع أجزاء الصُّورة ، المضاعفة عشر مرات ، وتكرَّر الأمر أكثر من مرَّة ، حتى ضاعف الكمبيوتر حجم الصورة لألفى مرَّة ، وهنا سالت الدموع من عينى (سلوى) ، وأطرق (رمزى) فى أسف ، فى حين غمغم الدكتور (حجازى) فى حزن بالغ :

ـ لا شئ يا (نور) .. لا توجد أية أجسام غريبة فى مخّك .

ارتسمت حَيْرة بالغة على وجه (نور) ، ولأوَّل مرَّة بدأ عقله يميل إلى نظرية (رمزى) ، وهو يغمغم فى تخاذل :

ـ ولكن .. ولكن ..

وعجز عقله ولسانه عن إتمام العبارة ، فربَّت (رمزى) على كتفه فى رِفْق ، وهو يقول فى إشفاق :

ـ حاول أن تقتنع بنظريتى يا (نور) .

تضاعفت الحَيْرَة المرتسمة على وجه (نور) ، وأطلَّ من عينيه تخاذل شديد ، وهو يُطْرِق بوجهه أرضًا ، دون أن يَنْبِسَ ببِنْتِ شَفَة ، وران صمْت ثقيل على المكان ، قبل أن يتمتم

الدكتور (حجازى) فى صوت بالغ الخُفوت ، كان من المستحيل سماعه ، لولا ذلك الصَّمْت المُطبق :

ـ هل يمكن أن يعاونه هذا على الحصول على البراءة ؟

تبخَّر سؤاله هذا فى صَمت الحجرة ، دون أن ينال جوابًا له ، ثم تحرَّكت (سلوى) نحو (نور) ، ووضعت يدها على كتفه فى حنان ، وهى تغمغم فى حزن :

ـ (نور) .. إننى ..

قاطعها (نور) فى صوت يقطُرُ حزنًا ومرارة :

ـ اتركونى وحْدِى .

تبادل الجميع نظرات قلقة ، قبل أن يستطرد هو :

ـ إننى أحتاج إلى البقاء وحدى لدراسة الأمر ، وأعدُكم بأن أستسلم لقراركم تمامًا ، ما لم أجد تفسيرًا منطقيًا ، يخالف نظرية (رمزى) .. ولن يتجاوز ذلك الثامنة من صباح غد .

عاد الجميع يتبادلون تلك النظرة القلقة ، قبل أن يقول (رمزى) فى هدوء :

ـ وهو كذلك يا (نور) .. إلى الثامنة من صباح الغد .

* * *

كان الرجلان المكلَّفان مراقبة منزل الدكتور (حجازى) ، يجلسان فى سيارتهما ، حينما انبعث صوت عَبْرَ جهاز البثِّ الخاصّ بهما يقول :

ـــ إلى السيَّارة (٦٠٠) .. اتجهوا فورًا إلى حىّ (مصر الجديدة) .. لقد شوهد الضابط الخائن هناك .

أسرع الرجل الجالس خلف عجلة القيادة ، يدير محرِّك السيارة ، فى حين قال الآخر فى شك :

ـــ انتظر .. ربَّما كانت خُدْعة .

ابتسم الرجل ، وهو يقول :

ـــ أية خدعة يا صديقى ؟ .. أنت تعلم مثلى أن موجة البثِّ هذه بالغة السِّرِّيَّة .

كان هذا القول يكفى ليستسلم الآخر تمامًا ، وتنطلق السيَّارة مبتعدة ، ولم تكد تفعل حتى انطلقت السيَّارة الأخرى ، التى كانت تنتظر عند بداية الطريق ، حتى وصلت إلى منزل الدكتور (حجازى) ، وهبط منها الشابَ الذى تخفى الضمادات وجهه ، فى حين قال الآخر فى إعجاب :

ـــ أنت عبقرىّ بالفعل .. إن إرسالنا هذه الرسالة على موجة البثِّ البالغة السِّرِّيَّة ، جعلهم ينصرفون دون أدنى شك .

أجابه الشابّ فى برود :

ـــ كنت أعلم ذلك .

ثم أسرع نحو معمل الدكتور (حجازى) الخاص ، وهو يردف فى صرامة :

ـــ انتظرنى .. لن يطول الأمر كثيرًا ، ولن يلبث صاحبنا أن يصاب بجنون حقيقىّ .

* * *

جلس (نور) وحيدًا صامتًا فى معمل الدكتور (حجازى) الخاصّ ، وهو يعقد حاجبيه ، ويشبِّك أصابع كفَّيْهِ أمام وجهه ، وعقله يسعى جاهدًا للبحث عن تفسير مُقنِعْ ، قبل أن يستسلم لنظرية (رمزى) ، التى تؤكِّد إصابته بانفصام الشخصيَّة ..

ولكن كل الأبواب بدت أمام عقله سميكة مُوصَدَة ..

كل الحلول والتفسيرات كانت تنتهى إلى نهاية مبتورة ، معقَّدة ، تزيد من حيرته وارتباكه ..

واستغرقه التفكير ، حتى أنه لم يشعر بباب المعمل الخاصّ ، وهو يُفْتَح خلْفَه فى هدوء ، ولا بذلك الشابَ ، الذى يخفى وجهه بالضِّمادات ، والذى اقترب منه بخُطُوات حَذِرة خافِية ..



كانت مفاجأة شديدة لـ(نور) إلَّا أنه تحرَّك فى سرعة ، فدفع المقعد الذى يجلس عليه إلى الخلف ، ليرتطم بالشابّ .

لم ينتبه إلى ذلك ، حتى أصبح الشابُ خلفه تمامًا ، وقبل أن يتحرَّك أحاطت ذراع الشابّ بعنقه فى قوَّة ..

كانت مفاجأة شديدة لـ(نور) ، إلَّا أنه تحرَّك فى سرعة ، فدفع المقعد الذى يجلس عليه إلى الخلف ، ليرتطم بالشابّ ، الذى تخلَّى عن عنقه ، وتراجع إلى الخلف ، واتخذ وقْفَةً قتاليَّة لمواجهته ، وقفز (نور) ، ودار على عقبيه لمواجه خصْمه ..

وعلى الرغم من تلك الضَّمادات ، التى تخفى وجه الشابّ تمامًا ، فيما عدا عينيه ، إلَّا أن وَقْفَته القتاليَّة ، وبريق عينيه ، وحتى ثيابه ، بدت كلها مألوفة إلى حدّ كبير ، مما جعل (نور) يسأله فى توتُّر :

ــ مَنْ أنت ؟.. وماذا تريد ؟

خُيِّل لـ(نور) أن الشابَّ قد ابتسم فى سخرية ، وأن ابتسامته مألوفة إلى حدٍّ كبير ، ومخيف ، على الرغم من الضَّمادات التى تخفيها ، وشعر أن شيئًا ما فى أعماقه يرفض مهاجمة هذا الشابّ ، الذى لاذَ بالصَّمْت تمامًا ، مما دفع (نور) إلى أن يكرِّر بمزيد من التوتُّر :

ــ مَنْ أنت ؟ ..

وفجأة استلّ الشابُ من جيب سُتْرته مُدْيَة ، شهرها فى وجه (نور) ، الذى عقد حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ مُدْيَة ؟!.. إن أحدًا لم يعد يستخدم تلك الأسلحة البيضاء منذ بداية القرن الحادى والعشرين !.. لاريب أنك شديد التخلُّف يا فتى أو ..

اتسعت عيناه فجأة فى دهشة بالغة ، حينما أدار الشاب نصل المُدْية إلى كفه ، وجرح راحته عَمْدًا ، ثم قبض قبضته فى قوَّة ، وترك بعض قطرات الدَّم تسيلُ من جُرْحه ، لتستقر على أرض المعمل ، فهتف (نور) فى مزيج من الدهشة والعصبية :

ـــ أنت مجنون .. مجنون ولاشكَّ .

وفجأة انقضَّ الشاب عليه ، وهمَّ بطعنه فى ذراعه ، فقفز (نور) جانبًا ، وتحرَّكت قبضته فى سرعة ، لتقبض على مِعْصَم الشابّ ، ثم طوَّح قبضته فى فكِّه ، ولكن الشابَّ تفادى اللكمة فى براعة ، ثم لكم (نور) فى معدته بقوَّة ..

واحتمل (نور) اللكمة ، على الرغم من قوَّتها ، ومال جانبًا فى سرعة ، ثم غاص بجسده إلى أسفل ، وركل الشاب فى ساقه بقوَّة ، ثم دفعه ليسقط أرضًا ، وقفز فوقه قابضًا على معصم يده الممسكة بالمُدْية ، ثم انتزع الضمادات التى تُخْفى وجهه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ دعنا نتعارف أوّلًا أيها الوَغْد ، قبل أن تحاول قتل ..

اختنقت حروف الكلمة الأخيرة فى حلق (نور) فجأة ، وشمله الذهول من قمة رأسه حتى أخمص قدمَيْه ، وهو يحدِّق

فى وجه الشابّ ، الذى انكشفت عنه الضمادات ، ومضت ثوان قبل أن يخرج صوته من بيْن شفتيه جافًا ، خشنًا ، متحشرجًا ، وهو يهتف :

ـــ مستحيل !!

وفجأة تخلَّص الشابّ من قبضة (نور) مستغلًا ذلك الذهول ، الذى يسيطر عليه تمامًا ، وطعنه بالخنجر فى ذراعه طعنة خاطفة ، ثم لكمه بقبضته الأخرى لكمة قويَّة ، ألقته من فوقه ، واندفع نحو باب المعمل ، ودلف منه إلى السيَّارة الصاروخية التى تنتظره ، وقفز داخلها ، فانطلقت به فورًا ، فى حين بَقِى (نور) يتطلَّع إليْه فى ذُهول ، ولسانه يردِّد كلمة واحدة :

ـــ مستحيل !! مستحيل !!

* * *

١٠ ــ المرآة ..

أشارت عقارب الساعة إلى تمام العاشرة مساءً ، حينما توقَّفت سيَّارة (رمزى) الصاروخية أمام معمل الدكتور (حجازى) الخاص ، وقفز هو منها فى قلق واضح ، واندفع نحو المعمل ، وهتف بالدكتور (حجازى) ، الذى ينتظره أمام الباب :

ــ ماذا حدث يا دكتور (حجازى) ؟.. لم أكد أصل إلى منزلى حتى طلبت منى العودة فورًا !.. ولماذا طلبت منى عدم إبلاغ (سلوى) و (محمود) ؟

ربَّت الدكتور (حجازى) على كتفه ، وإن ظلَّت ملامحه تحمل ذلك القلق الذى استقبل به (رمزى) ، وهو يقول :

ــ لم أشأ إزعاجكم جميعًا يا (رمزى) .. ثم إنك تكفى وحدك فى هذا الموقف .

قفزت العبارة بقلق (رمزى) إلى ذِرْوَته ، وهو يهتف :

ــ ماذا حدث بالله عليك يا دكتور (حجازى) ؟

أشار إليه الدكتور (حجازى) أن يَخْفِض من صوته ، وهو يقول :

ــ لقد سيطر على الأرق ، بعد أن تركنا (نور) وحده فى

معملى ، وساوَرَنى القلق عليه ، فتسلَّلت إلى المعمل ؛ لأطمئن عليه ، ولكننى فوجئت به مصابًا فى ذراعه ، ودماؤه تنزف فى غزارة .

هتف (رمزى) فى ذعر :

ــ يا إلهى !!

أشار إليه الدكتور (حجازى) مرَّة أخرى أن يخفض من صوته ، ودفع باب معمله الخاصّ ؛ ليقوده إلى الداخل ، وهو يقول :

ــ اطمئنّ يا وَلَدِى .. لقد ضمَّدْتُ جراحه ، ولكنه يريد رؤيتك .

اندفع (رمزى) داخل المعمل ، وأسرع نحو (نور) ، هاتفًا فى جزع :

ــ (نور) .. هل أنت بخير ؟

أجابه (نور) فى توتُّر واضح :

ــ نعم يا (رمزى) .. ولقد عثرت على الدَّليل ، الذى يؤكِّد خطأ نظريتك .

غمغم (رمزى) فى دهشة :

ــ الدَّليل ؟!

أجابه (نور) فى انفعال :

ـــ نعم يا (رمزى) .. الدَّليل .. هناك وَغْد ينتحل شخصيتى .. وأعتقد أنه قد أُجْرِيَتْ له جراحةُ تجميلٍ بارعة ، فملامحه تطابق ملامحى ، كأنما هى صورتى فى مرآة ، ولقد هاجمنى الليلة ، وأحدث بذراعى هذا الجرح ، ولكنه ـــ ولسبب أجهله ـــ ترك خلفه دليليْنِ قويّيْن ، يمكنهما أن يقودانا إليه .

سأله (رمزى) فى مزيج من الحَيْرَة والشَّكّ :

ـــ أىّ دليليْن يا (نور) ؟

هتف (نور) ، وهو يشير إلى بقعة دم صغيرة :

ـــ بضع نقاط من دمه ، وبصمات أصابعه على المُدْيَةِ التى طعننى بها ، وكلاكما ـــ الدكتور (حجازى) وأنت ـــ تعلمان أن العلم الحديث قد أثبت أن قطرة الدماء هى بمثابة بصمات الأصابع تمامًا ، ومن المستحيل أن يتشابه فيهما مخلوقانِ فى العالم أجمع(*) ، وسجلَّات كل مواطن فى جمهوريَّة مصر

(*) أثبت العلم الحديث بالفعل أن قطرة الدم تحوى العديد من العوامل ، بخلاف الفصيلة ، والإيجابية والسلبية ، مثل عامل (ن) ، وعامل (س) ، وغيرهما ، وكل عامل من هذه العوامل ينقسم إلى فصائل فرعية ، مما يجعل الدم ـــ مستقبلًا ـــ وسيلة لتحديد الهُويَّة ، تصل إلى نفس دقة بصمات الأصابع .

العربية تحوى بصماته ، وتحليل دمه ، وإذا ما قمنا برفع بصماته عن مقبض المُدْيَة ، وتحليل قَطْرة دمه ، فَسيمكننا بواسطة الكمبيوتر أن نعلم مَنْ هو .

صمت (رمزى) ، وهو يتأمَّل (نور) فى ريبة ، حتى أن هذا الأخير هتف فى عصبيَّة :

ـــ ألا تصدِّقنى يا (رمزى) ؟

أجابه (رمزى) فى هدوء :

ـــ بَلَى ، أصدِّقك يا (نور) ولكن ..

قاطعه (نور) فى حِدَّة :

ـــ ولكن ماذا ؟

تنهَّد (رمزى) ، وتردَّد لحظة ، قبل أن يقول :

ـــ إن حديثك هذا يتفق مع الإصابة بانفصام الشخصية يا (نور) ، فلقد بقيت هنا وحدَك ، تجهد عقلك فى محاولة لإثبات عدم إصابتك بالـ(سكيزوفرانيا) ، ولما عجز عقلك عن ذلك ، ابتكر ذلك القتال الوهمىّ ، ولكنه لم ينجح فى طمْسِ حواسِّك تمامًا ، جعل غريمك فى صورة تشبهك تمامًا ؛ لأنه لم يكن فى الواقع سوى أنت ، ولقد طعنت نفسك بالمُدْيَة ، التى ربَّما كنت تحملها دون أن تَدْرِى ، ثم ألقيت

المُدْيَة، وعاد إليْك عقلك الواعى ، فتصوَّرْت أنَّك كنت غُرْضَة لهجومٍ ليلىّ و ..

قاطعه (نور) فى عصبية :

ــ أى هراء هذا ؟

عقد (رمزى) حاجبيه، وهو يقول فى صرامة :

ــ لو أنه مجرَّد هراء يا (نور) ، فهل يمكنك أن تخبرنى كيف نجح هذا المهاجم المجهول ، الذى يشبهك تمامًا ، فى الدخول إلى هنا ، ومهاجمتك ، ثم الفرار دون أن يجذب وجهه ، الذى يبحث عنه كل رجل شرطة فى (مصر) ، انتباه الرجال الذين يراقبون منزل الدكتور (حجازى) ، ومعمله الخاص ؟

هتف (نور) فى حِدَّة :

ــ لست أدرى كيف حدث هذا ، ولكن رفع البصمات ، وتحليل الدم سيثبتان أننى على حق .

عاد (رمزى) يتنهَّدُ فى أسف ، ثم قال :

ــ حسنًا .. هل لك أن تسمح لنا إذن برفع بصماتك ، وتحليل دمك للمقارنة ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ــ نعم .

أومأ (رمزى) برأسه متفهِّمًا ، ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، قائلًا :

ــ فلنبدأ يا سيِّدى .

* * *

استعاد والد (نور) وعيه فى بطء ، وشعر بصداع شديد يكتنف رأسه ، وبثقل فى جفنيه ، حتى أنه بذل جهدًا كبيرًا ليفتح عينيه ، ولكنه لم يكد يتطلَّع إلى الشَّاب الجالس ، على مقربة من الفراش الذى يرقد فوقه ، حتى هبَّ جالسًا ، وهو يهتف فى ارتياح :

ــ (نور) .. ولدى ! .. هل كشفت اللعبة ؟ .. هل ألقيت القبض على الدكتور (منصور) ومساعديه ؟

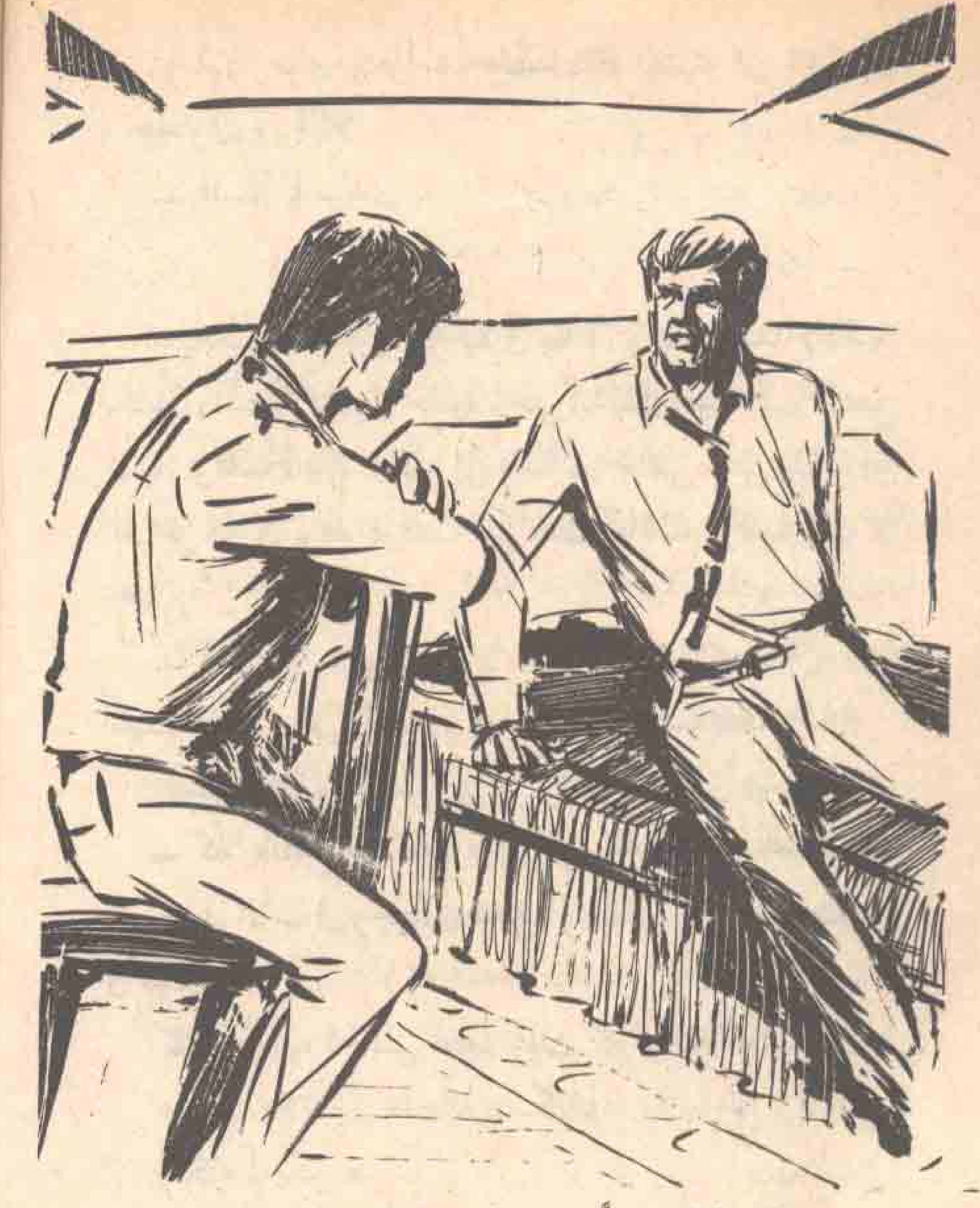
ابتسم الشابّ الجالس إلى جواره ، وهو يقول فى سخرية :

ــ كلَّا بالطبع .. كيف يُلْقِى المرء القبضَ على أصدقائه ؟

حدَّق الأب فى وجهه بدهشة ، واضطرب قلبه بين ضلوعه فى قوَّة ..

كان الشابّ الجالس أمامه يملك كل ما يملكه ابنه .. صوته ، ملامحه ، خلجاته ، سكناته ..

ولكنه لم يكن هو ..



ولكنه لم يكد يتطلّع إلى الشّاب الجالس ، على مقربة من الفراش الذى يرقد فوقه ، حتى هبَّ جالسًا .

شىء ما فى أعماقه أنكر أن يكون هذا هو ابنه ..

شىء دفعه إلى أن يسأله فى توتُّر :

ـ مَنْ أنت ؟

رفع الشابّ حاجبيه فى دهشة ، بدت لعينَى الأب مُصْطَنَعة مَمْجُوجَة ، وهو يقول فى لهجة أقْربَ إلى السخرية :

ـ مَنْ أنا ؟ . يا له من سؤال يا أبتاه !! أنا ابنك الوحيد ، الرائد (نور الدين) !!

تراجع الأب ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ كلَّا .. إنك لست ابنى .

اتسعت ابتسامة الشاب الساخرة ، وهو يميل نحوه ، قائلًا :

ـ ولنفرض .. هل يمكنك إثبات ذلك ؟

تحوَّلت لهجة الأَب إلى العصبيَّة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. هناك عشرات الوسائل لإثبات ذلك .

أجابه صوت من خلفه ، يقول فى برود :

ـ ستعجز كلها عن ذلك .

التفت الأب إلى مصدر الصوت فى حِدَّة ، وارتسمت الكراهية فى ملامحه ، وهو يحدِّق فى وجه صاحب الصوت ، وهو يقول :

ـ إذن فهو أنت .. أنت مساعد الدكتور (منصور) .

ابتسم الرجل فى سخرية ، وهو يقول :

ـ نعم .. هو أنا .

أشار والد (نور) إلى الشاب الذى يشبه ابنه ، وهو يقول فى غضب :

ـ دع هذا المدَّعى يتوقَّف عن تمثيل دَوْرِه ، إنه لن يخدع أجهزة الفُحص ، التى ستثبتِ أنه ليس (نور) .

جلس مساعد الدكتور (منصور) فى هدوء ، وهو يقول :

ـ أتحدَّاك ..

ثم مال نحوه مستطردًا فى زَهْوٍ :

ـ أدقُّ وأحدث أجهزة الفحص لن يمكنها أن تنفِى أننى الرائد (نور الدين) ، ضابط المخابرات العلمية العبقرىّ ، فأنا لا أحمل وجه (نور) وصوته فحسب ، بل عروقه وعقله ، وحتى ذاكرته .

وامتزج الزَّهْوُ بالسخرية فى صوته ، وهو يُرْدِفُ :

ـ لأننى باختصار جزء منه .

هتف الوالد فى دهشة :

ـ جزء منه ؟!.. ماذا تعنى ؟

جاءه الجواب على هيئة ضحكة ..

ضحكة ساخرة شرِّيرة ..

★ ★ ★

شحب وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يزيح المُدْيَة جانبًا ، ويلتفت إلى (نور) ، قائلًا فى صوت متحشرج مخنوق :

ـ إنها بصماتك أنت يا (نور) .

تنهَّد (رمزى) فى أسف ، على حين حدَّق (نور) فى وجه الدكتور (حجازى) فى ذهول ، ثم لم يلبث أن لوَّح بذراعه ، وهو يهتف فى توتُّر بالغ :

ـ البصمات يمكن افتعالها وتقليدها يا دكتور (حجازى) ، وأنت تعلم ذلك ، فمن السهل أن تطبع بصمات شخص ما على غلاف من المطاط الرقيق ، وترتديه فوق أصابعك و ..

قاطعه (رمزى) فى صرامة :

ـ وماذا عن تحليل الدم يا (نور) ؟

امْتَقَعَ وجْهُ (نور) ، وهو يغمغم :

ـ أنت تعلم أنه من المستحيل أن يتطابق تحليلَى الدَّم يا (رمزى) و..

قاطعه الدكتور (حجازى) هذه المرَّة ، قائلًا :

ـــ ولكنهما متطابقان يا (نور) .. كل قطرة دم فى هذه الحجرة من دمك أنت ..

شحب وجه (نور) ، حتى بات يحاكى وجوه الموْتى ، وهو يغمغم فى ذُهول :

ـــ ولكن هذا مستحيل !! مستحيل !!

ربَّت (رمزى) على كتفه فى إشفاق ، وهو يغمغم فى خُفوت :

ـــ إنها الحقيقة يا (نور) ، لا مفرَّ من الاعتراف بأنك مصاب بانفصام الشخصية .

انبعث فجأة صوْتٌ صارم يقول :

ـــ لا داعِىَ .. لن تنطلِىَ هذه الخِدْعَة على المحقِّقين .

التفت الجميع فى حركة حادَّة إلى مصدر الصوت ، فطالعهم وجه الرائد (فهمى) ، الذى يقف بباب المعمل ، مستطردًا فى صرامة :

ـــ أعتقد أن أفضل ما تفعله الآن هو الاستسلام أيها الرائد (نور الدين) .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى حزم :

ـــ سابقًا .

* * *

١١ ـــ وأطبقَ الفخ فكَّيْهِ ..

خيِّل للدكتور (حجازى) أن الزمن قد توقَّف فجأة ، حينما تجمَّد الموقف تمامًا داخل معمله الخاص ، لولا أن غمغم (نور) فى استسلام واستكانة :

ـــ كيف عرفت أننى هنا ؟

أجابه الرائد (فهمى) فى هدوء :

ـــ لقد تلقَّى ، رجلانا ، اللذان كلَّفناهما مراقبة معمل الدكتور (حجازى) ، إشارة زائفة على موجة البثِّ الخاصَّة ، البالغة السِّرِّيَّة ، تطلب منهما ترك المكان ، والتوجّه إلى (مصر الجديدة) ، بحجة إلقاء القبض عليك هناك ، ولمّا كانت تلك الموجة من السِّرِّيَّة ، بحيث لا يعرفها سوى ضباط المخابرات العلمية وحدهم ، فقد قدَّرت أنك أنت الذى أرسلتها ، ولم يكن هناك فى نظرى تفسير لذلك ، أو تبرير له ، سوى أنك أردت التسلّل إلى هنا ، دون أن يلمحك الرجلان .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ـــ هل فعلت ذلك يا (نور) ؟

هزَّ (نور) رأسه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ــ لست أدرى يا (رمزى) .. لم أعد أدرى .

شعر (رمزى) بالإشفاق الشديد على (نور) ، الذى يراه لأوَّل مرَّة فى حياته بهذا الضعف والتخاذل ، وتمنَّى لو أن كل ما يحدث ليس إلَّا كابوسًا سخيفًا ، لن يلبث أن ينتهى حينما يستيقظ من نومه ، ولكن الرائد (فهمى) أصرَّ على أن يؤكِّد له أنه يحيا واقعًا ، حينما عاد يقول فى صرامة :

ــ والآن يا (نور) ، أتنوى الاستسلام بلا قتال ، أم تفضِّل صراعًا عنيفًا قاسيًا ؟ .. وقبل أن تجيب من الأفضل أن تعلم أن المكان كله محاصر برجال الشرطة ، والأوامر الصادرة إليهم تقضى بمنعك من الفرار هذه المرَّة ، مهما كان الثمن .

رفع إليه (نور) عينين ارتسم فيهما كل الألم ، والحزن ، والمرارة ، والحَيْرة ، وهو يقول فى استسلام :

ــ لا داعِىَ يا (فهمى) .. أنا رهن إشارتك .

تنهَّد (فهمى) فى ارتياح ، وقال وهو يتقدَّم نحوه :

ــ إننى أفضِّل ذلك .

واستعاد صوته صرامته ، وهو يضع يده على كتف (نور) ، قائلًا :

ــ إننى ألقى القبض عليك بتهمة الخيانة يا (نور) .

* * *

ران صمت رهيب على المكان ، بعد أن انصرف رجال الشرطة ، وهم يحملون (نور) فى سيارتهم ، وشعر الدكتور (حجازى) أن ذلك الحزن الذى يملأ قلبه ، يفوق حزن أهل الأرض أجمعين ، فى حين ترقرقت الدموع فى عينى (رمزى) ، وهو يغمغم فى أسى :

ــ ما زلت لا أصدِّق ما حدث .. ما زلت أكره أن أتصوَّر (نور) ، وهو يخطو داخل إدارة المخابرات العلمية مُتَّهَمًا ، بعد أن كان يَلِجُهَا ضابطًا شامخًا .

غمغم الدكتور (حجازى) فى حزن هائل :

ــ دوام الحال من المحال يا ولدى .

وخامره شعور قوىّ بالرغبة فى البكاء ، فأشاح بوجهه إلى داخل معمله ، مستطردًا :

ــ ومَنْ يدرى ؟.. ربَّما تبدَّلت الأمور ، أو ..

ابتلع الجزء الباقى من عبارته فجأة ، قبل أن يبلغ شفتيه ، وهو يحدِّق فى جزء من أرض معمله ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ــ ما هذا ؟

التفت إليه (رمزى) فى حيرة وتساؤل ، ورآه يسرع

الخطا إلى حيث استقرّ ميكروسكوبه الأيونى الخاص ، وينحنى ليلتقط لفافة بيضاء ، من ذلك الفراغ الضيّق بين الميكروسكوب وصوان الآلات ، فسأله (رمزى) :

ــ ما هذا ؟

رفع الدكتور (حجازى) اللّفافة أمام وجه (رمزى) ، فإذا بها مجموعة من الأربطة والضّمادات الطبّيّة ، تمزّقت أطرافها على نحو ما ، فغمغم (رمزى) ، وهو يتطلّع إليْها فى حَيْرة :

ــ ماذا يعنى هذا ؟.. إنها مجرَّد أربطة طبّيّة !

قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام بالغ :

ــ هذا صحيح ، ولكن السؤال هو : ما الذى أتى بها إلى هنا ؟

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ ربّما كانت بقايا الضمادات ، التى ضمّدت بها جرح (نور) .

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا فى قوّة ، قبل أن يقول فى إصرار :

ــ إننى لا أستخدم هذا النوع مطلقًا .

هتف (رمزى) فى قلق :

ــ ماذا يعنى وجودها هنا إذن ؟

زوى الدكتور (حجازى) ما بين حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ مَنْ يدرى يا ولدى ؟.. ربّما ..

وصمت لحظة ، وكأنه يحاول التيقُّن من كلماته قبل أن ينطق بها ، إلّا أنه حينما عاد يتحدَّث كان صوته مليئًا بالثّقة والقوّة ، وهو يقول :

ــ على الرغم من غرابة ما سأقول ، ومن عدم اتفاقه مع كل الأدلّة والبراهين ، والنتائج العلمية ، إلّا أننى أؤكّد أن شخصًا ما قد هاجم (نور) هنا بالفعل .

هتف (رمزى) فى دهشة :

ــ ماذا تقول يا دكتور (حجازى) ؟.. وماذا عن فحص البصمات وتحليل الدم ؟.. إن ما حدث لـ (نور) مجرَّد نوبة انفصام شخصية و ..

قاطعه الدكتور (حجازى) فى صوت قوىّ :

ــ انفصام الشخصيَّة لا يأتى بضمادات كهذه يا (رمزى) ، واضح من تكوينها أنها كانت تخفى وجه شخص ما ، لسبب ما .

وامتلأ صوته بالقوّة والصّرامة والعِناد ، وهو يستطرد :

ــ إن (نور) برىء يا (رمزى) .. إنه ضحيّة خُدْعة حقيرة ، أوقعت به فى فخ محكم ، أطبق عليه فكّاه بلا رحمة ، ولكننى لن أتخلّى عنه ، فلو بقيت فى حياتى خطوة واحدة ، فسأخطوها للدفاع عنه ، وإثبات براءته ، مهما كان الثمن .

* * *

استسلم (نور) تمامًا ، وهو يجلس إلى جوار الرائد (فهمى) ، داخل سيارة صاروخية مصفَّحة ، تابعة للمخابرات العلمية المصرية ، يحيط بها أربع سيارات أخرى ، لمنع أية محاولة منه للفرار ..

ولم يكن هو يفكّر فى الفرار مطلقًا ..

كان شاردًا ، واجمًا ، خائرًا ، عاجزًا حتى عن التفكير فيما يحدث ، وفيما أصابه ..

لقد فقد الثقة حتى فى تفكيره وأفعاله ..

لم يعُد يدرى ما فعل ، وماذا لم يفعل ..

اختلطت فى رأسه الأمور ، وتداخلت ، وتضاربت ، حتى بات يشك فى أنه هو نفسه الرائد (نور الدين محمود) ..

وتركَّزت أفكاره ومخاوفه كلها عند نقطة واحدة ..

زوجته (سلوى) ، وابنته (نشوى) ..

إن إدانته بتهمة الخيانة تعنى إعدامه ، ووصْمَهُ بالعار .. بل وصم ابنته وزوجته بعار لا ذنب لهما فيه ..

عار سيَعْلَقُ باسمه أبد الدَّهر ، بعد تاريخه الحافل بالانتصارات والبطولات ، والقتال من أجل وطنه ..

يا لها من نهاية لبطل !!

يا له من ختام لحياة أقرب إلى الأسطورة !!

وفى غمرة حيرته وضياعه وتوتُّره ، عاد ذلك الخاطر يلحّ على ذهنه بلا رحمة ، وعادت تلك الفكرة تنهش خلايا مُخّه بلا هَوادَة ..

فكرة أنه ضحيّة خُدعة مُحْكَمة ..

ضحية فخّ بارع ، تمّ إعداده بوسيلة شيطانيَّة ، ليُطبِق عليه بلا فكاك ..

وانتزعه من أفكاره صوت الرائد (فهمى) ، وهو يقول :

ــ استعدّ يا (نور) .. لقد وصلنا .

انتفض جسد (نور) فى قوّة ، وأدار عينيه ليتطلّع إلى مبنى

إدارة المخابرات العلمية المصرية ، وخفق قلبه فى شدَّة ، وهو يخطو إلى حيث تبدأ نهايته ..

وأطبق الفخ فكَّيْهِ ..

★ ★ ★

نهـاية الجـزء الأوَّل

ويليه الجـزء الثـانى والأخير

[العَدُوّ الخفِىّ]

رقم الإيداع ٣٢١٥